مجلة
بحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخل العدد

- الاحتياجات التدريبية للدعاة في مجال الاتصال واتجاهاتهم نحو مستحدثاته.
  «د. شعبان أبو اليزيد شمس»
- موقف الصحافة المصرية من قضية العولمة والهوية الثقافية.
  «د. سهام نصار»
- مستقبل العلاقة بين الإعلام والتعليم في ظل ثورة المعلومات.
  «د. محمد رضا أحمد محمد»
- دور القنوات الفضائية العربية في زيادة المشاركة الجماهيرية.
  «د. عادل فهمي البيومي»
- مستقبل الإعلام الإسلامي.
  «د. أسامة بن صالح حريري»
- التسويق الاجتماعي نحو أجندة لحملات التغيير الاجتماعي في مصر.
  «د. سلوى إمام»

العدد
السادس عشر
أكتوبر ٢٠٠١م

قواعد النشر

تقوم المجلة بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير والترجمات وفق القواعد التالية:

* أن لا يكون البحث قد سبق نشره فى أى مكان آخر .
* أن يكون مطبوعًا على الكمبيوتر وخاليًا من الأخطاء اللغوية.
* لا يقل البحث عن خمسة آلاف كلمة ولا يزيد عن عشرة آلاف كلمة .
* يزود الباحث المجلة بثلاث نسخ من البحث على أن يكتب اسم الباحث وعنوان الباحث على غلاف مستقل .
* أن توضع قائمة المصادر والمراجع التى اعتمد عليها الباحث فى آخر الدراسة أو البحث لا فى أسفل الصفحة .
* يعتمد النشر على رأى اثنين من المحكمين المتخصصين فى تحديد صلاحية المادة للنشر .
* ترد الأبحاث التى لا تقبل النشر لأصحابها .
* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر، ويلزم الحصول على موافقة كتابية قبل إعادة نشر مادة نشرت فيها .
* بالنسبة للبحوث المحكمة والصالحة للنشر تلتزم المجلة بإشعار الباحث بصلاحية بحثه للنشر خلال أسبوعين من استلام ردود المحكمين .

مجلة

البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخل العدد

• الاحتياجات التدريبية للدعاة في مجال الاتصال واتجاهاتهم نحو مستحدثاته.
«د. شعبان أبو اليزيد شمس»

• موقف الصحافة المصرية من قضية العولمة والهوية الثقافية.
«د. سهام نصار»

• مستقبل العلاقة بين الإعلام والتعليم في ظل ثورة المعلومات.
«د. محمد رضا أحمد محمد»

• دور القنوات الفضائية العربية في زيادة المشاركة الجماهيرية.
«د. عادل فهمي البيومي»

• مستقبل الإعلام الإسلامي.
«د. أسامة بن صالح حريري»

• التسويق الاجتماعي نحو أجندة لحملات التغيير الاجتماعي في مصر.
«د. سلوى إمام»

العدد
السادس عشر
أكتوبر ٢٠٠١م

المنار

لجميع خدمات

الكمبيوتر

٣٨ عامر بك . بالعباسية

تليفون : ٦٧٤١٤٥٠

رقم الإيداع :

٦٥٥٥

العدد السادس عشر

أكتوبر ٢٠٠١م

مجلة

البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور: أحمد عمر هاشم

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: محيى الدين عبد الحليم

مدير التحرير

د. محمود عبد العاطى مسلم

سكرتير التحرير

د. أحمد منصور هيبة

المراسلات

توجه باسم الدكتور/مدير التحرير على العنوان التالى:

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام

تليفون: ٥١٠١٤٦٦

هيئة المحكمين
في هذا العدد

أ.د. جيهان رشتي

أ.د. علي عجوة

أ.د. محيي الدين عبد الحليم

أ.د. عدلي رضا

أ.د. حمدي حسن محمود

أ.د. ماجي الحلواني

أ.د. حسن عماد مكاوي

أ.د. سامي الشريف

أ.د. أشرف صالح

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن رأي صاحبها ولا تعبر عن رأي المجلة

العدد الخامس عشر
يناير ٢٠٠١م

مستقبل الإعلام الإسلامي

د/ أسامة بن صالح حريري

قسم الإعلام
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى

خلاصة البحث

إن «مستقبل» الإعلام الإسلامي في «خطر» أمام البث الفضائي الجامح الذي أصبح يهدد «شخصيتنا». الوطنية والقومية، إذا لم يتم إجراء الخطوات العلمية المناسبة. لذلك فإن رسم وصناعة المستقبل «بالكوادر» الوطنية والقومية هو «الضمان» لتحقيق وبقاء شخصيتنا الإسلامية كأمة لها قيمتها وأهدافها وطموحتها.

ويتمحور هذا الضمان في الدور الجامعي المتمثل في إعداد الكوادر «المتخصصة» التي تقوم بحمل رسالة «تطوير» الوطن إلى أقصى درجات الرقي الحضاري. وتسعى هذه الكوادر «للحفاظ» على شخصية دولتها. وينحصر هذا الدور المزدوج على خريجي أقسام الإعلام - وبالذات تخصص الإذاعة والتلفاز - في العالم الإسلامي لمواجهة الخطر الذي يتهدد مستقبل الشخصية القومية والذي أشبه ما يكون بغزو لاجتياح الشخصية والتراث القومي، حتى وإن كان هدفه اقتصاديا.

إن هذا الدور يتحقق من خلال «الثلاث» الأبعاد التي تقوم بها أي دولة لحمل رسالتها الانتمائية بين جيلين: اللفظية والرمزية والنظامية. وهذا الدور الأكاديمي إنما هو ضمن منظومة «رباعية» لحل المشكلة وطرح أسلوب البديل لمواجهة مثل هذا الغزو. وتبدأ هذه المنظومة بالفرد وتثني بالأسرة وتثلث بالدولة وتختتم بالدور القومي.

***

أولاً: مصطلحات البحث

إن الإعداد للمستقبل من خلال الكوادر المتخصصة لضمان بقاء الذات - وسط معترك الايديولوجيات - وبقاء الأقوى انتماءا - هو «الحتمية» الوطنية والقومية، إذ يجب أن تسعى الأمم أن تحقق هذا الانتماء في إعلامها بصفة خاصة وفي جميع التخصصات بصفة عامة. ذلك أنه - كما يقول مالك بن نبي صـ٩٦ إن كل نشاط عملي علاقة مباشر بالفكر، فمتى إنعدمت هذه العلاقة، عمى النشاط واضطرب وأصبح جهدا بلا دافع، وكذلك الأمر حين يصاب الفكر أو ينعدم، فإن النشاط يصبح مختلا أو مستحيلا.

والمقصود هنا بالإعداد للمستقبل هو الوسائل التي يمكن من خلالها ضمان المستقبل للأجيال القادمة. هذه الوسائل تسير على خطوط أربع متوازية لا يقل أحدها عن الآخر أهمية ولكن تختلف في مستوى التأثير. كذلك فإن هذه الخطوط الأربع تسير كل منها من خلال ثلاث وسائل أو أبعاد، اللفظي، والرمزي، والنظامي، وكل هذه القنوات هي وسائل تنتقل من خلالها المعلومة.

إن «حصر» قنوات بث المعلومة والتشكيل للشخصية على الوسائل اللفظية والمصادر الإنسانية هو «تضيق» للقوى التي يمكن من خلالها صناعة الأجيال وتشكيلها. إننا بهذا الفهم المحدد لا نضيق «حقيقة» دائرة المعركة التي نخوضها مع أنفسنا بسعة وشمول، بل إننا «نشكل» في أوطاننا وبأيدينا - سلبا وايجابا، ما لا يخطر ببال غيور على أمته، بل إننا نحرم أنفسنا من خير كثير، مثال ذلك من يملك طبق الاستقبال الفضائي والمتحرك ولكن يجعله قاصرا على استقبال القناة المحلية، فكأننا نضيق واسعا. إن المطلوب بكل بساطة هو إعطاء قنوات البث «المناسبة» ما تليق به من اهتمام ودعم.

بداية، لابد من توضيح المقصود «بالمعلومة» Information، والتي تشمل العوطف والمشاعر والتجارب بل وكل ما يتم «تناقله» بين طرفين، ذلك يعني أن المعلومة ليست قاصرة على ما هو متعارف عليه من المعلومات الرسمية أو العلمية، كذلك فإ ن«القناة» Medium هي الأداة أو الوسيلة التي من خلالها تنتقل المعلومات من طرف إلى آخر، وهذه الأداة ليست قاصرة على اللسان والكتاب والمرسلات الإذاعية أو التلفازية.

أضف إلى هذا وذلك فإن «الطرف» أو المصدر Source الذي يبث أو يرسل معلومات لا يشترط أن يكون بشرا، ذلك أن الأطراف التي تنقل معلومات هي كل مخلوقات الله عز وجل، بل وكل ما ينتجه الإنسان، ولكل وسيلته. هنا يأتي تعريف الاتصال - في أبسط مظاهره - بإنه (انتقال المعلومات بين طرفين) بكل سعة لمصطلح المعلومة والطرف وقناة الانتقال في «ثنائية أفقية»- وليست رأسية - الاتجاه حركة المعلومات بين الطرفين، مثل السهم الأفقي الثنائي النصل.

المقصود (بالثنائية الأفقية) هو أن تسير حركة المعلومات بين الطرفين على تصور نفسي «يعترف» بوجود المصدر وينظر «باحترام» وتقدير له دون استعلاء- حتى وإن كان هذا المصدر حيوانا أو جماداً أو نظاما - مصرح به أو ضمنيا، ناهيك عن أن يكون بشرا لا اكتراث له في المجالس، فالحق أحق بأن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن هو أولى بها أني وجدها. إن هذا «التصور الأفقي». يعطي صاحبه الفرصة للاستفادة من كل مصادر المعلومات، وذلك لكون هذه المصادر موجودة في «التصور» ولها اعتبار وتقدير في «الواقع». أما إذا كانت النظرة تشوبها التحقير والاستعلاء أو حتى عدم الاعتراف أو عدم المعرفة التصورية أو الذهنية فإن نموذج حركة المعلومات سوف يكون رأسيا أحادي النصل سهم متجه من الأعلى إلى الأسفل، من المرسل إلى المستقبل.

هذا التصور لا يستقبل المعلومة إلا إذا كانت «أمرا» صادرا من منطق القوى الأعلى، كما جاء على لسان المشركين في كتاب الله عز وجل، (لولا رجل من القريتين عظيم). ينتج من هذا التصور الرأسي «حرمان» صاحبه من المصادر «الكثيفة» المحيطة به والتي يمكن استثمارها.

فلننظر إلى هذه المفاهيم من خلال الأمثلة. إن انتقال معلومة السلام قد يكون بين إنسان وآخر Verbally «لفظيا» كالتحية، «السلام عليكم، أو يا هلا ويا مراحب». حيث تنتقل المعلومة من فم المرسل إلى أذن المستقبل. كذلك تنقل معلومة السلام Nonverbally «رمزيا» بإيماءة الرأس أو وضع راحة اليد على الصدر أو رفعها فوق الرأس مع التلويح بها فتنتقل المعلومة من الجسد إلى العين.

في كلا الحالتين يكون المرسل هو المستقبل في نفس الوقت في ثنائية أفقية لحركة هذه المعلومة. ذلك يعني أن المرسل أثناء بثه للرسالة يقوم باستقبال رسالة مصاحبة من المستقبل، فمن قال السلام عليكم، فإنه قد يكون قالها بطريقة معينة سببها ما تم استقباله من الطرف الآخر أثناء بثه لرسالة السلام.

إضافة إلى الوسيلة اللفظية والرمزية في بث معلومة السلام، فإن هناك وسيلة «أعمق» في بث المعلومة وهي الوسيلة التي قد نستطيع أن نسميها Sys-tematic «نظامية». المقصود بالوسيلة النظامية في البث والإيحاء بالمعلومة هو أن يتم انتقال معلومة السلام من طرف إلى آخر من خلال النشاطات والتصرفات والأنظمة واللوائح - حتى وأن لم تكن مكتوبة أو مصرح بها - التي تقر معاني السلام والعدالة، ذلك يعني أن «التعرض» Exposure أو التعامل مع هذه النشاطات واللوائح سوف يضفي على الأفراد المحيطين به معاني السلام والعدالة، حتى وأن لم يستقبلهم أحد بلفظ السلام أو تلويحة الكف. الذي يجب ملاحظته في موضوع «التعرض» أن لا يشترط فيه الوعي والاعتراف بالتعرض ليتم التأثير. ذلك أن دائرة الحواس هي دائرة التعرض والتأثر.

إن هذه الوسيلة الثالثة هي «الأقوى» في تكوين الاتصال، إذ أن «شدة» الأثر تتناسب طرديا مع «خفاء» الوسيلة، لذلك فإن ارتفاع صوت أحد طرفي النقاش دليل على انهزام هذا الطرف، ولذلك يلجأ الرجل إلى ضرب المرأة. لذلك يأتي التساؤل عن قوة هذه الوسيلة الثالثة في هذا المثل القائل (إذا كان رب البيت بالدف ضارب، فشيمة أهل البيت الرقص) والذي هو تصديق لهذا القول بأثر الاتصال النظامي. هل هذا هو السبب في أن الطفل يقلد التصرفات قبل أن يقلد الكلمات، وهل هذا السبب في أن العين ترى البرق ثم تسمع الأذن صوته؟

فلنتخيل كل ذلك معا. إننا في حقيقة الأمر- دون وعينا - نستعين بالوسائل الرمزية أكثر من الاستعانة بالوسائل اللفظية، إلا في حياتنا العملية - بكامل وعينا ومشاعرنا - نقوم بالعكس، إذ يتم التركيز في التوجيه والتشكيل على الوسائل اللفظية كالمحاضرات والنشرات والكتب. مثلا. إذا استمعنا إلى لفظ

«السلام عليك يا أخي»، ولكن صاحبها نغمة الازدراء وشمخة في الأنف وانحراف في الرأس ومصاحفة بأطراف الأصابع، فهل نصدق المعلومة اللفظية أو المعلومة الرمزية. فلنفترض أن الرسالة اللفظية كانت صحيحة وكذلك الرمزية من نغمة الصوت وزاوية الانف الرأسية وزاوية الرأس الأفقية، ولكن بعد التعامل اتضحت المقاييس الغير مصرح بها في الطبقية والعنصرية، فهل نصدق اللفظية والرمزية ونكذب النظامية؟

فلنحاول أن نوسع الاستفادة. المهم أن هذا الاتصال والانتقال للمعلومات ليس مقصورا على البشر. ذلك أن النبات، يتبادل المشاعر والأحاسيس مع الإنسان الذي يتعامل معه، مثل تأثر الزهور المنزلية بمشاعر مالكها والعكس - مع ملاحظة أن هذا الأثر الإيجابي لا يحدث مع النبات الاصطناعي، مما يدل على أن الأثر مصدره النبات وليس الإيحاء.

الأجمل من ذلك هو مشاعر المواطن السعودي وهو ينظر إلى «النخلة» في أي بقعة في العالم، والتي أصبحت رمزيا وطنيا بشموخها وخيرها وعمق جذورها. كذلك مثال بكاء جذع النخلة لفراق الرسول ﷺ بعد أن بنى له منبرا فترك ﷺ جدع النخلة الذي كان يرتقي عليه، ولم يسكت الجذع من البكاء حتى وضع ﷺ يده على الجذع. هل هذا هو السبب نفسه الذي تحول من أجله الشاعر في أوصاف الحمار والجحش والكلب إلى أوصاف الرصافة؟ بل يتجاوز «الاتصال» من النبات إلى العمران لقول الشاعر.

أمر على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

هل يعني ذلك أن وجود المكتبة في البيت هو قناة اتصالية تربوية؟هل مكان المكتبة كذلك هو مؤثر آخر أعمق؟ هل هذا يعني أن هندسة البناء لها أثرها على التصور والتصرف؟ هل هذا القول هو ضل لحديث المصطفى ﷺ في أن البيت الواسع هو من أسباب السعادة؟ المقصود في الأمر أن تبادل وانتقال المشاعر والأفكار «والتأثير» يتم بين الجماد والإنسان، مثال ذلك شعورنا بقيمة واحترام الفرد وتلاقح العقول أثناء مرورنا أمام مبنى مجلس الشورى. كذلك مشاعر العدالة والمساواة بل وحقوق الإنسان - ناهيك عن أصله وفصله - عند

مرورنا بجوار المحاكم الشرعية، ما هو أثر هذه المباني على سلوكنا وفي تعاملنا بأساليب وأنماط محددة بعد التعرض لبث هذه القنوات المعلوماتية؟

فلنوسع دائرة الاستفادة، هل نستطيع أن نضيف في هذا المجال ما تقوم به أمانة العاصمة من نظافة وتشجير لنتساءل عن أثر نظام البلدية علي نفسية المواطن وهو «يتعرض» للنظافة ولهذه الألوان الجميلة ذهابا وإيابا من والي منزله والعمل؟ هل يعني هذا أن يقوم التشجير على استفادة من علم النفس لا على فن الألوان ونظام الري فقط؟ بذلك نستطيع أن نجعل وما تقوم به البلدية، مشكورة، من نظافة يومية للشوارع - حتى في الخط السريع - على أنه بث لمعلومات تشكل المواطن من خلال ما تبثه من (رموز وأنظمة) النظافة والتشجير.

هل نستطيع أن نجعل دائرة الاستفادة تشمل ما في أنظمة الإعلام والتعليم، مثلا، من مفردات والتي قد «تتناغم» فتوجد اللحن المتسق ليشكل المواطن الذي «تكاثفت» مصادر التشكيل على توجيهه. بدلا من أن تكون هذه المصادر متنافرة تتقاذفها انتماءات ومذاهب وفلسفات ونظريات يلعن بعضها بعضا، كالماء في الزيت على النار. يأتي التساؤل هنا عن الحاجة إلى النظرية التي تجمع عناصر التشكيل، كما يتم جمع أوتاد الخيمة رغم تجاذبها المتنافر.

نستطيع أن نتفهم معنى الاتصال النظامي إذا دمجنا أي مؤثر على مشاعر الإنسان. ما هو أثر «النظافة والترتيب» في الملبس والمسكن والمركب والشارع على نفسية الفرد؟ هل نستطيع أن نقول إن النظافة - بمثابة قناة بث - هي «اتصال نظامي» يبعث ويبث مشاعر وأفكار ومعلومات - بدون كلمات أو رموز - تربى المواطن على العمل المنظم وتجعله يشعر بالراحة النفسية واحترام الزمان والمكان، وينتج من كل ذلك سلوكيات وتصرفات وأنماط شخصية هي نتيجة حتمية «للتعرض» لهذا النوع من المعلومات. الذي يزيد من هذا الأثر اليومي للمواطن هو تأثره وتعرضه لنظام المرور والقيادة للمركبات، والذي يبعث روح الطمأنينة والسكينة والشعور بالمساواة وإعطاء الحقوق - بدلا من نزعها - بين من «يتعرضون» لهذا النظام سواء من يقودون العربات أو من يركبونها أو حتى المشاة، وذلك لشمول دائرة التعرض لدائرة الحواس. هل

نستطيع أن نقول بإن «تعرضنا» لهذا النوع من المعلومات - المصرح بها والضمني - للمرور سوف يشكل المواطن بكيفية محددة من السلوكيات والنفسيات دون غيرها؟ هل يعني ذلك أن نظام المرور هو قناة تبث معلومات تشكل المواطن؟

كذلك هو الأمر بالنسبة لمفردات التعليم وبرامج الإعلام التي هي بمثابة اتصال نظامي يبث مشاعر وأفكار ومعلومات يجب أن تتوافق وتتناغم حتى يكون مواطنها مثل رجل سلما لرجل ولا يكون مواطنها كرجل فيه شركاء متشاكسون. وفشل هذا «التناغم» تدفع ثمنه دوائر الأمن.

ولكن - وهنا بيت القصيد - أي أنواع الاتصال يتفوق على الآخر، وما هي مراتب القوة بينهم؟ هل الاتصال اللفظي يتفوق على الرمزي والنظامي؟ مثال ذلك التساؤل: هل تكفي المحاضرات والنشرات التي تدعو إلى الالتزام بنظام المرور في مواجهة الكم الهائل من الرموز والأنظمة التي توحي بالمخالفة؟ مثال ذلك تصرف الأب مع ابنه بأن يخبر من يقرع الباب أن الوالد غير موجود. ثم يحاول نفس الأب لفظيا مع ابنه إثبات أن الكذب محرم، هل أثر الاتصال هنا هو أقوى من الاتصال النظامي؟ هذا هو التعبير للمقولة الغربية القائلة بأن الأحداث تنطلق بصوت أعلى من الكلمات:

Actions speak louder than words

إن المقصود من هذا النقاش هو إعطاء ما حولنا من قنوات البث والتشكيل - ما كان منها رمزيا ونظاميا، مصرح به أو ضمني - ما تليق به من اهتمام ودعم، حيث أنها في حقيقتها قنوات «للبث والتشكيل» وأنها ليست مجرد أحداث آنية ومعاملات فردية أو مناظر جمالية. إن المطلوب هو الانتباه لكل ماله أثر على سلوك المواطن، والذي هو بذرة السلوك الجماعي والصياغة الحقيقية للوطن من خلال «تناغم» أنظمته.

الإعلام الإسلامي

قبل الخوض في هذا المصطلح لابد أولا من التخلية قبل التحلية. ذلك أن تصوراتنا مليئة بالتجارب التي قد «تصدنا» عن دين الله. لذلك «فلنتخلص» من هذه التصورات السلبية التي «تتنافى» مع دين الله وكماله فالله أعز وأكرم وأعلم وأجمل من أن يصدر مثل ما يخوضه ويعيشه بعضنا من تجارب، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿اللهم لا تجعلنا فتنة للدين كفروا﴾، ناهيك عن تجربة التاريخ وشهادته، بل ومقولات أعداء الايجابية.

بل إن البعض من أعدائه لم يعادوه إلا بسبب «سلوكيات» بعض من أهله وليس «لذات» الدين، بل وصل الأمر أنه حين كنا في عصور النور في البقاع الإسلامية كانت عصور الظلام في البقاع الأوروبية حيث كان الدين يحكم المنطقتين، وقد كان أغنياء الغرب في ذلك الوقت يرسلون أبناءهم وبناتهم للتعلم في الأندلس والمغرب العربي وليدرسوا العلم والاتيكيت، بل كانوا يحفظون الشعر العربي لابن زيدون وهم لا يفقهونه:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت ضمائرنا شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

لذلك فإن التجربة العالمية مع الدين غير سارة حيث المقولة المشهورة (أشنقوا آخر اقطاعي بأمعاء أخر رجل دين) هي مقولة حتمية للتطوير، ولكن «القاعدة» الغربية لا تنطبق على «التجربة» العربية فأسباب تخلفنا تختلف عن أسباب تخلفهم، ولكن لا نظلم كل من يعادي هذا الدين، فلندفع بالتي هي أحسن.

(١) «الإعلام»؟:

الإعلام: مصدر أعلمه إعلاما، مثل أبلغه إبلاغا وأخبره إخبارا وآذنه إيذانا، فالإعلام والإبلاغ والإيذان ألفاظ تدور حول إيصال أمر مطلوب من جهة المتكلم إلى المخاطب. وأعلمت كآذنت وهو أيضا في معنى التبليغ والإبلاغ أي الإيصال، يقال: بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب والبلاغ ما بلغك أي وصلك.

وكذلك مقولة عبد الحليم محمود نقلا عن العالم الألماني اتوحروت صـ١٩ هو (التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم في نفس الوقت، وذلك عن طريق تزويد هذه الجماهير بالحقائق والمعلومات الصحيحة والثابتة والأخبار الصادقة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات) فهل إعلامنا يعبر عن شخصيتنا، أم هو نقولات وتمرير للغزو الفضائي؟

ويهدف الإعلام في أي مجتمع إلى (١) الإحاطة بالبيئة، (٢) تفاعل فئات المجتمع مع البيئة، (٣) انتقال التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل الذي يليه، (٤) الترفيه. أما في عصر الثورة المعلوماتيه، فإن الإعلام لم يصبح «أداة» وطنية فقط، بل قوة «للسيطرة» والتوجيه العالمي. وأصدق مثال على ذلك ما وصلت إليه قناة CNN أثناء حرب الخليج إذ أصبحت القناة الأكثر شعبية في العالم. وهنا صدقت المقولة القديمة للعالم الكندي مارشال ماكلوهان عن القرية العالمية. هنا يضيع الضعيف، هنا «تضيع» الشخصية الوطنية بل والقومية أمام «الزخم» العالمي الزاحف عبر قنوات الإعلام الفضائية، بل إن الدولة الواحدة قد لا تستطيع أن تحكم شعبها الذي أصبحت حواسه «مملوكة» لإعلام خارجي، رغم بقاء الجسد داخل حدود الوطن، هنا يملك القدرة على «تشكل» الرأي العالمي والشخصية العالمية من يملك هذه القنوات العالمية. وهنا «تذوب» الشخصية الوطنية لمن لا يستطيع «الوقوف» بقدم الانتماء الوطني والقومي أمام هذا التيار والسيل العرم.

(٢) «الإسلامي»:

لقد أصبحت نكتة المجالس أن يقال اقتصاد إسلامي ومحاسبة إسلامية وتاريخ إسلامي بل وإسلام إسلامي، وكل ذلك سببه عدم معرفة حقيقة ودور هذا الإسلام في الحياة، إذ هو ليس شعائراً تعبدية فقط ولا أذكاراً وكلمات بسيطة، وسوف يتم بسط هذا الموضوع عند الحديث عن خصائص التصور الإسلامي ومواصفات الدعوة الإسلامية.

لكن نقول إن الكثير من دراسي ومدرسي الإعلام الإسلامي «لا يفقهون» هذا التصور الحساس. إن الكثير ممن يخوض في الإعلام الإسلامي يعتقده إعلام الدعاية إلى الإسلام وأخلاقياته ومبادئه، وذلك بعض الحقيقة، والبعض يراه مراجعة وعرض للتاريخ الإسلامي والاهتمام بقضايا الأقليات الإسلامية، وذلك بعض الحقيقة، بل هو بسط للحياة الإنسانية وعرض لها بجميع جوانبها دون فصل بين دين ودولة حيث إن القرآن دستور ومنهج حياة تبيانا لك شيء. ذلك أنه ليس في القرآن سورا أو آيات خاصة بالصلاة، بل أن المصلي ليقرآ آيات سياسية واقتصادية واجتماعية وذلك بشمول آيات القرآن وتفصيلها لكل شيء. فكذلك الإعلام الإسلامي - كالصلاة - يتم فيه نقاش وعرض كل شيء يتعلق بحياة الإنسان.

وذلك «لا يعني» أن الإعلام الإسلامي كله جد وعزم، بل جزء منه المزاح الصادق واللهو المباح كما جاء ذلك كله في سيرته ﷺ. وقصة السيدة عائشة في مشاهدتها لرقص الأحباش وفي المسجد هو خير دليل على ذلك، بل إن الصحابة ليتقاذفون ببقايا البطيخ، وفي المسجد. إن الإعلام الإسلامي هو انبثاق لحياة المسلم الذي يتعبد لله في كل شأن من شئون حياته وذلك مصداقًا لقوله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) والدعوة «جزء» من حياة المسلم يقوم بها المسلم عمليا بتطبيق شرع الله في عموم وجزئيات حياته. لذلك فليس المقصود بالإعلام الإسلامي إعلام الدعوة والدعاية والإرشاد والتوجيه، وكل ذلك أجزاء من أي إعلام، كما هي جزء من إعلامنا.

لذلك فإن المقصود بالإعلام الإسلامي هو كما أوضحه كحيل أنه صبغ الإعلام الحالي بصبغة تتلاءم مع طبيعتنا كمجتمع إسلامي أولا وكمجتمع عربي ثانيا، فلابد أن «يعبر» إعلامنا عن شخصيتنا وعن طبيعتنا وأن ينبثق من قيمنا وتراثنا.

وذلك يعني - كما أشار كحيل - أن نقدم مضامين الإسلام بصورة فنية تبرز عظمتها وتزيدها مهابة واحتراما وإجلالا لدى المسلمين ليحبوها وليعملوا لها ولتصبح منهج حياتهم ولتصبح هي سلوكياتهم. ويتمدد الأمر لتصبح رسالتنا نحو العالم في بث فضائي يوصل رسالة الإسلام إلى العالم أجمع فهو يتعطش إلى ما نملكه من ترياق لما تعانيه البشرية من تخبط في الأنظمة والتصورات والتصرفات.

كل ذلك - كما يشير كحيل - يحتم صبغ المضمون والمحتوى الإعلامي بالصبغة الإسلامية والتقليل من أساليب الوعظ المباشر والبعد عن الندوات التقليدية والخروج به إلى رحاب أوسع باستخدام الفنون الإعلامية الحديثة لاجتذاب المشاهد، وهذا يحتم الاهتمام بالجانب الترفيهي.

لذلك فيختلف الإعلام الإسلامي عن غيره من نظم الإعلام من ناحية الأخلاقيات والأهداف والوسائل والمحتوى، رغم أنه «يحتوي» الخير الذي في جميع نظم الإعلام، ولكنه يتفوق عليها، إذ هو من لدن عليم حكيم هدى ورحمة للعالمين.

ومن أسباب «تأخير» الإعلام الإسلامي عن مواكبة الإعلام العالمي الأسباب التي ذكرها الأستاذ فضيل الأمين في ندوة مستقبل العمل الإسلامي:

(١) قوقعة الدعوة الإسلامية على جمهورها المحدود وعدم توسعها للقاعدة العريضة من الجماهير. ذلك أدى إلى الاكتفاء بالوسائل الإعلامية المحدودة الدائرة، وعدم الاهتمام بالتوسع. وأهم عنصر هنا هو إغفال أهمية وكيفية الخطاب العالمي من نقاش وتوثيق وحوار حضاري وطرح لمشكلات العصر في حقائب عملية، حيث اكتفت الدعوة الإسلامية بالحوار العاطفي والحنين إلى الماضي دون طرح واقعي.

(٢) إن الاهتمام بالإعلام أصبح حزبيا حيث أصبح الإعلام منبرا لاتجاه المجموعة المسيطرة على القناة الإعلامية المحدودة الانتشار، حيث لا يوجد طرح وطني، ناهيك عن العالمي، بل هو نداء وخطاب لفئة محدودة.

(٣) محدودية الثقافة المبثوثة في هذه القنوات الإعلامية وذلك لأن من يبثون أفكارهم في القناة الإعلامية موثوقون حزبيا، وتلك هي شهادتهم الكبرى. لذلك لم يهتم هؤلاء الأفراد برقي خطابهم إلى أوسع مما هو عليه. فنظرا لعدم وجود الصراع لم ترتق الهمم ولم يرتق الخطاب.

(٤) محاربة الفن والجمال - فأصبح الخطاب والعرض جافا - والمحاربة للوسائل الإعلامية الغربية. فأصبح الإسلامي متشنجا أمام وسائل الإعلام ويجد نفسه على حرج وفي خطر إذا درس وسائل الإعلام الحديثة. فأصبح موقفنا سلبيا يحرم ويحارب فقط دون أن يقدم بديلا نقذفه على الباطل ليدمغه.

(٥) اعتماد الطرح الإسلامي على العرض الصريح المباشر وعدم الاعتماد على لغة الإعلام العصري من انتقاد وحوار ذكي وعرض خفي غير مباشر. كل ذلك جعل الإعلام الإسلامي لا يقدر على مواكبة اللغة العصرية في الخطاب الجماهيري.

***

ثانيا: المقدمة

تنبعث أهمية هذا البحث من حرص الباحث على قوميته ووطنيته من «الضياع» أمام التيار الهادر في القنوات الإعلامية الفضائية. هذا السيل الهادر، والذي قد يخلو من التخطيط لهدم الشخصية الوطنية والقومية، بشكله الحالي سبب في انحلال وانسلاخ الشخصية الإسلامية ولبس ثوب جديد لا أصالة له. لا يتهم الباحث القنوات بأنها قنوات للغزو الفضائي، ولكنه يسعى للحفاظ على الشخصية حتى يكون البناء ذا جذور وأصول «ثابتة» في أعماق التاريخ والتراث.

إن الحفاظ على الشخصية يتحقق من خلال بث عناصرها ومكوناتها من وسائل للتفكير والتصرف في قنوات البث الإذاعي والتلفازي ليستقبلها الجمهور ويعمل بها. أما إذا تم بث عناصر شخصية أجنبية، فإن الجمهور سوف يقتبس وسائل التفكير والتصرف التي لم تنبعث من أرضه، فتصبح كالشجرة التي لا جذور لها يسهل اقتلاعها عند هبوب أي ريح عاصف.

وهذا ما أشار إليه الغامدي في ندوة المسئولية الأمنية للمرافق الإعلامية في الدول العربية صـ٧٣ من أن الإعلام بحكم تأثيره الواضح في المجتمعات الإنسانية يجب أن يصطبغ في المجتمعات العربية بصبغة الإسلام إذا أريد له أن يؤدي دوره في الحفاظ على أمن المجتمع العربي على خير تمثيل ويسهم في حياة أفراده بترسيخ مبادئ الخير في نفوسهم حتى يأمنهم مجتمعهم ويؤدوا دورهم في الحفاظ على هذا الأمن.

إن هذا القول لا يعني «العداء» للشخصية الأجنبية ذلك أن الدعوة إلى الإعلام الوطني والقومي ليست دعوة إلى قيام أسوار صينية ولا جدر ألمانية ولا تشويش سوفيتي. الأمر بكل بساطة هو أن لكل بذرة تربة تثمر فيها، وثمرة الخلق والشخصية الغربية والشرقية لها تربتها التي تنبت فيها، أما الشخصية المسلمة فهي ذات تربة «خاصة» لها بذرتها وثمارها التي تختص بها دون غيرها. فإذا أردنا لهذه التربة أن تنبت ثمارا، فأولى بها بذورها التي تصلح لها، فما صلح شرقا وغربا ليس شرطا أن يصلح في كل مكان، وليس ذلك أيضا مؤشرا لفساد وخطأ.

هذه الأنماط الغريبة لن يكون لها أساس في الشخصية التي تقبسها، فتصبح شجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، كالكلمة الخبيثة، لذلك فإن سبب «استفادة» أي شعب من وسائله في التفكير والتصرف هو أنها قد «انبعثت» من أرضه، أما تقليد وسائل الشعوب والحضارات الأخرى فما له من قرار ولن يؤتى أكله كل حين.

وسوف يتم تحقيق هذا الطموح من خلال الوسائل الأربع التي سوف يتم بسطها في حنايا البحث. «ويتمحور» كل ذلك في تكوين الكوادر التي تحمل شخصيتها وإنتمائها الوطني في يد وعلمها وتخصصها الدقيق في اليد الأخرى.

يسعى الباحث هنا إلى بيان أهمية الأخذ «بمختلف» مستويات الحل وعدم الاقتصار على جانب دون آخر، إن مستويات الحل الأربع تعطي «لكل» ذي حق حقه في توازن بحيث يستطيع كل فرد في المجتمع أن يكون «كادرا» يذب عن وطنه وقومه، بذلك يستطيع الفرد في خاصة نفسه، والأب مع أسرته والدولة مع مواطنيها والأمة مع قومها أن «تحافظ» على شخصيتنا الإسلامية.

إن المشكلة التي ينطلق منها الباحث هي «ذوبان» الشخصية في العالم الإسلامي وانصهارها في قوالب الشرق والغرب. إن الملاحظ لأسلوب التعامل والتفكير وأساليب التصور والتصرف ليجزم أن الشعوب المسلمة لا تستقبل عقولها معلومات تجعلها تشعر بالعزة بشخصيتها القومية ولا تجعلها تقتبس وتقلد أصالتها التي تمتد في أحقاب الزمن إلى أبي البشرية آدم عليه السلام.

لذلك «فالحل» هو بث المعلومات التي تثير في المواطن المسلم العزة بذاته وتبث حول حواسه معلومات تجعل تصوراته وتصرفاته «منبثقة» من شخصيته الوطنية والقومية. وهذا الحل يختتم بالمبادرة والتعاون القومي بين الأشقاء المسلمين الذين «يكمل» بعضهم بعضا في السياسات والتخصصات والخبرة. ويسبق ذلك بناء وطني «للكوادر» وسياسة وطنية تبني الكادر الوطني

المتخصص. وقبل ذلك «حصانة» وثقافة أسرية تعرف كيف تستقبل المعلومة الخطأ وكيف تتعامل معها في حوار حضاري بعيد عن العنف والتشدد، وقبل كل ذلك فردا واثقا من شخصيته مثقفا بأصالته يميز بين الغث والسمين.

إن الإعلام الإسلامي ليس دعوة «لعزلة داخلية» بل هو «الانفتاح» ضمن حدود وطنية - مثل سياسة التعامل مع الشجرة - فمنها ما يجب أن يرى النور، ومنها اذا رأى النور، فإنه يموت. وقبل الخوض في تفاصيل بناء المستقبل فلنستعرض الواقع الذي يشرحه الأستاذ كمال الهلباوي في ندوة مستقبل العمل الإسلامي ١٩٩١م حيث يذكر أن من مشاكل الإعلام الإسلامي وضوح الغايات والأهداف المرسومة، ولكن هذه الأهداف تفتقر إلى المرحلية. ومن هذه المشاكل كذلك ضعف الوسائل والإمكانات والكوادر البشرية والمادية سواء في مجال التخطيط أو التفكير أو التنفيذ. وكثير من هذه المؤسسات الإعلامية الإسلامية لا ترتبط طبيعيا بالسلطات القائمة.

كذلك، عدم تكامل الخطط الإعلامية لهذه المؤسسات وذلك بسبب ضعف إدراك التخطيط الإعلامي عند هذه المؤسسات وذلك لنقص الكوادر المتخصصة، وبجانب انعدام التخطيط فإن هذه المؤسسات تقف في وجه القضايا الحيوية في حياة الأمة. ونظرا لانعدام التخطيط وانعدام المتخصصين كانت النتيجة سطحية المعالجة، ومحدوديتها على الإسلاميين الذين ينغلقون على هذه المؤسسات، مما حصر نطاق الخطاب والتأثير ويتزامن كل ذلك ضعف تقني لا يساير المسيرة العالمية في التقنية التي تصبغ وتضفي على الخبر قالبا مشوقا يزيد من جماله وقيمته، بل يحول الباطل حقا، وذلك لحسن العرض.

إضافة إلى ما سبق فإن أسلوب الخطاب في الإعلام الإسلامي تغلب عليه العاطفة منه إلى الدراسات الموضوعية. كذلك فيتصف الإعلام الإسلامي المعاصر بضعف الاستشراف للمستقبل ومحدودية الاتصال إيجابيا وكميا وكيفيا، ولكن رغم كل ذلك فقد تميز الإعلام الإسلامي المعاصر بالتفوق في الجانب الأخلاقي والتعبدي، فقط.

ويضيف السيد الهلباوي مختصرا مشكلات الإعلام الإسلامي الداخلية بأنها تتمثل في ضعف التدفق المعلوماتي والإخباري وبالتالي ضعف التأثير لانعدام مصداقية حداثة الخبر، ونتج عن ذلك عدم وجود محطات بث تلفزي أو إذاعي أو وكالات أنباء أو صحف يومية، ونتج عن عدم الموازنة للواقع زيادة التفاوت الإعلامي بين المستوى الإسلامي والمستوى العلماني. ويواجه الإعلام الإسلامي مشكلة يومية وهي إمكانية سحب التصاريح أو التراخيص والاعتراف الرسمي.

ونظرا لأن مصادر الأخبار محدودة فإن النتيجة هي الاستهلاكية الإخبارية حيث يتردد الخبر نفسه في جميع قنوات البث ويتزامن مع ذلك تأخر بروز نظام للإعلام والاتصال يتميز به العالم الإسلامي دون غيره. ونتج عن ذلك محدودية التوزيع في العالم العربي خصوصا والإسلامي عموما، وذلك بسبب محدودية قنوات التغطية الموضوعية، ويزيد الطينة بلة محدودية مصادر المعلومات على الإسلاميين. ومما يضاعف من هذه الفوهة بين المؤسسات الإعلامية المعاصرة وبين شخصية المجتمع وثقافته وإسلامه عدم مشاركة الإسلامين للإعلام المحيط بهم وبناء سور بينهم - كعزلة نفسية - وبينه ونسوا أنه ﷺ كان يجتاح النوادي الأدبية السنوية مثل عكاظ والمجالس العائلية حول الكعبة وفيها مما حرم الله الشيء الكثير، بل وكان يطوف بالبيت وعليه الأصنام ويطوف فيه العراة من الرجال والنساء، بل وتعلوة الأصنام.

أما على المستوى الدولي والقومي فإن الإعلام في الدول الإسلامية يتميز بطغيان الإعلام الغربي ـ عموما - وهيمنته العالمية، إضافة إلى التبعية والفروق التقنية، كذلك يسيطر اليهود على الإعلام الغربي مما يفرض توجهاتهم على قنوات الإعلام. هذا الإعلام الغربي له أيديولوجيته، لذلك فإنه يسعى للاختراق والاستلاب الثقافي - بقصد أو بدون قصد - فينتج عنه العداء الإعلامي الدولي للدول المستقبلة للمادة الغربية.

لذلك تسعى الدول الغربية للمحافظة على التفوق التقني الهائل لتبقى الهيمنة والسيطرة على المادة الإعلامية بطريقة أو بأخرى. فتنتج عن ذلك السيطرة على حقوق الاتصال الأرضي والفضائي، بل وقد يصل الأمر إلى التعاون الدولي الإعلامي في مواجهة كل ما هو إسلامي.

ثالثا: خصائص تصور الإعلام الإسلامي

إن التصور الإسلامي ينبثق في جميع مناهج الإسلام. لذلك فالإعلام والسياسة والاقتصاد والأخلاق والنفس كلها تتميز بخصائص التصور الإسلامي. وذلك يعني أننا عندما نسعى لتطبيق الإعلام الإسلامي في مجتمعاتنا، فإنها ـ أى المجتمعات الإسلامية ـ سوف تنطبع بهذه الخصائص والسمات والصفات، كما يذكرها سيد قطب في كتابه المشهور **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته:**

(١) الربانية:

إن «مفرق» الطريق بين ما يسمى بالتصور الإنساني والتصور الإسلامي هو أن التصور الأول ينشأ في الفكر الإنساني وذلك لتفسير الوجود وعلاقة الإنسان به. أما التصور الإسلامي فهو تصور مصدره خالق الكون والإنسان. لذلك «يتفاعل» هذا التصور مع الضمير والمشاعر الإنسانية بل ويتلبس بالحياة. وكل ذلك «سببه» أن خالق هذا النظام هو نفسه خالق هذا الإنسان.

وهذا «التوافق» بين النظام والإنسان هو مصدر الثقة من أن هذا النظام مبرأ من النقص ـ الذي يعتري الإنتاج الإنساني ـ ومن الجهل ـ مهما وصل إليه الإنسان ـ ومن الهوى ـ مهما حاول الإنسان من حيادية . وعكس كل ذلك صحيح فيما يختص بكل عمل بشري. ومن ثم فهذا التصور ينبثق منه أو يقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله. وكذلك سوف ينبثق منه منهج إعلامي أقوم.

وهذا القول بالربانية لا يعني «إغفال» العقل الإنساني فهو يعتبر وسيلة يتم الاعتماد عليها في إدراك الخصائص والمقومات الربانية بهدف تحكيمها في كل ما حول العقل من تصورات وتصرفات. لذلك فإن الجوانب التي لم يكفلها دين الله فإن الإنسان مطالب شرعًا بالتفكير والتطبيق سواء في عالم التصورات أو في عالم التصرفات وفق التصور الرباني الشامل.

(٢) الثبات:

هناك أمور «ثابتة» في المنهج الإسلامي لا تغيير فيها. كوجود الله وأن الكون كله من خلقه سبحانه. وعبودية الله وصفاته وكرامة الإنسان بجنسه وأن الناس أصل واحد ورابطة العقيدة والابتلاء والجزاء. كل ذلك أصول لا تتغير ولا

تتطور «رغم» تغير وتطور الحياة من حولها. فالتغير في مظاهر الحياة يجب أن يبقى محكومًا بالثوابت من هذه التصورات.

ومن أجل «الثبات» وعدم التخبط في التجارب شرقًا وغربًا فلا بد من وجود تصور «ثابت» يجيء من مصدر ثابت وهو كذلك يرى الصورة كلها فلا تخفى عليه خفايا النفوس والضمائر.

ونحن أمة الوسط قد وقانا الله شر الملابسات الشرقية والغربية عبر التاريخ. هذه التجارب قد «أضاعت» الغرب في مجاهل التيه؛ ولهم في هذا الشرود «حق» وتجربة تليق بظروفهم، أما نحن فلنا «تجربتنا» الخاصة؛ لذلك فليس لنا العذر إذا نحن شردنا في التيه مختارين بدون عذر ولا سبب ولا ملابسة من ملابسات التاريخ التي اكتنفت التجربة الغربية.

(٣) الشمول:

«ينحصر» الإنسان بحدود الزمان والمكان لذلك فإن إنتاج هذا الإنسان سوف يتشكل «بمحدوديته» فيصبح جزئيًا يصلح لزمان ومكان دون آخر، إن كل أمر في الحياة يمتاز بأنه يمتد في الزمان والمكان ويمتد في الأسباب والعلل وراء كينونة الإنسان ومجال إدراكه. وذلك كله فوق ما يعتري هذا الإنسان من قصور الزمان والمكان.

ولذلك لا يمكن أن يكون هناك إنتاج إنساني إلا ويتمثل في التفكير «الجزئي» والتفكير الوقتي الذي يغطي احتياجا ويغفل آخرا. وبذلك يتحتم التغيير لعلاج التناقض. أما في الإسلام فيملك الإنسان أن يعيش لدنياه كأنه يعيش أبدا وفي نفس الوقت يعيش لأخرته كأنه يموت غدا. بذلك يعمل الإنسان لله وهو يعمل لمعاشه. بل بذلك يحقق الإنسان كماله - الذي يطالبه به ربه أثناء ممارسته لأهوائه ولرغباته الإنسانية. كل ذلك هو «خلافة» الله في أرضه، ولا يشترط منه سبحانه وتعالى إلا أن الإخلاص في التوجه في حركته كلها لله، سبحانه.

لقد خلق الله الإنسان بكل طاقاته لتنطلق «كلها» بشمول. ولا يضمن هذه الشمول إلا منهجا من عند خالق عالم بهذا الشمول والكلية الإنسانية والوجود والكون والحياة. ومن خلال انطلاق هذه القوى «مجتمعة» يشعر الإنسان

بالراحة لإشباع جميع قواه، فلا تتعطل البعض من أجل إشباع البعض الآخر، «فتضج» من لم يتم إشباعها في أمراض لا نعرف لها كنها ولا ماهية.

ثم يقول سيد في صـ١٠٧ (عندئذ تتجمع هذه الكينونة وتتجمع شعورا وسلوكا وتصورا واستجابة في شأن العقيدة والمنهج وشأن الاستمداد والتلقي وشأن الحياة والموت وشأن السعي والحركة وشأن الصحة والرزق.

وبهذه الخاصية صلح الإسلام أن يكون منهج حياة شاملا متكاملا. منهجًا يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة بدون تعارض بينهما بل في ترابط وتداخل يعز فصله لأنه حزمة واحدة في طبيعة هذا الدين ولأن فصلة هو تمزيق وإفساد لهاذ الدين)، كحزمة الضوء إذا تجمعت كانت قوة ثاقبة مثل الليزر.

(٤) التوازن

ورغم ما في الشمول من عظمة إلا أنه «وحده» لا يكفي الإنسان لكي يكون سعيدا ولا يكفي الحضارة أن تتصدر المجالس. هناك إيجابية أخرى هي التوازن بين كل تلك القوى والاحتياجات الإنسانية في الكون والحياة. وهناك التوازن بين مشيئة الله المطلقة وبين مجال مشيئة الإنسان المحدود بالزمان والمكان. كذلك هناك التوازن بين عبودية الإنسان وبين كرامته عند ربه. أيضا التوازن بين ما توحى به العلاقة مع الله من خوف ورهبة وبين أمن وطمأنينة. وهناك توازن بين الإيمان بالغيب وبالوحي والنص وبين الإيمان بمادية الكون والحياة من جانب آخر.

ويشير مالك بن نبي إلى نفس هذه الخاصية من زاوية أخرى حيث يذكر في صـ١٩١ أنه ما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف، بين الروح والمادة، بين الغاية والسبب، فمهما اختل هذا التعادل في جانب أو في آخر، كانت السقطة رهيبة قاصمة.

(٥) الإيجابية

إن من أكثر ما يميز التصور الإسلامي عن بقية الأديان «فاعليته» وإيجابيته في

الحياة، إذ لا يعيش المسلم سلبيا في هامش الحياة قانعا بما في ضميره من صورة مثالية نظرية، إن التصورات الإسلامية تعيش في واقع الحياة كما نعيش في واقع الضمير. لذلك «تتوقد» نفس المسلم دوما إلى تحقيق ما يختلج في نفسه من تصورات في دنيا الواقع، بل ويؤرقه هذا الضمير حتى يهب «جميع» قواه التي وهبها الله إياها في سبيل تحقيق هذا الدين الإيجابي الذي يبني الحياة ويعمرها لإسعاد الإنسان، بل والحيوان والنبات.

إن المسلم في التصور الإسلامي هو «قوة» إيجابية فاعلة في الأرض، ذلك أن الله خلقه ليستخلفه فيها وذلك يعني السعي لتحقيق «لتعمير» وتغيير وتطوير وإصلاح وتنمية الحياة الإنسانية. إن هذا التصور يرفع من نظرة الإنسان إلى نفسه حيث يشعره بمدى المسئولية التي يحملها «فيكدح» عبادة لربه حتى يأتيه اليقين.

(٦) الواقعية

إن التصور الإسلامي لا يتعامل مع التصورات العقلية المجردة أو المثاليات التي ليس لها في عالم الواقع، بل يتعامل مع الحقائق «الموضوعية». التي لها وجود حقيقي، بل وأثر واقعي إيجابي. فالإنسان له شهواته التي يسقذرها الإسلام بل يجعلها عبادة. وكذلك فإن الجدل الفلسفي والجهد الذهني الذي لا ينتج واقعا عمليا لا قيمة له في الإسلام الواقعي.

إن هذا الدين يجعل العمل والإنتاج والنماء «عبادة» لله رب العالمين. إن هذا الدين تتوافق عباداته مع فطرة الإنسان. إن الإنسان في هذا الدين تعمل جميع طاقاته التي خلقها الله من أجله. بذلك يقول سيد صـ١٨١ (بذلك ينطلق الإنسان بكل طاقاته، يعمر في هذه الأرض ويغير وينمي في موجوداتها ويطور، ويبدع في عالم المادة ما شاء الله له أن يبدع، لا يقف في وجهه حاجز من التصور الاعتقادي، ولا من المنهج العملي، فكلاهما (واقعي) مطابق لواقعية الكينونة الانسانية وللظروف الحقيقية المحيطة بها في هذا الكون من حولها، وكلاهما صادر من الجهة التي صدر عنها الإنسان والتي زودته بطاقاته).

(٧) التوحيد:

وخلاصة التصورات الإسلامية الألوهية التي يتفرد بها رب العزة والجلالة. ومركزية العلاقة بين الخالق والمخلوق تقوم على أساس هذه العبودية وحدها لا على أساس أي علاقات أخرى كالنسب والصهر. فهو سبحانه المتصرف بحياة البشر سواء في عالم العقيدة وعالم التصورات والضمير والشعائر، كل ذلك على حد سواء إذ له الخلق والأمر. وينشأ من هذه الخاصية - كما يقول سيد صـ١٩٥، («تجمع» الشخصية والطاقة في كيان المسلم الفرد والجماعة وينفي التمزق والانفصام والتبدد)

والإعلام الإسلامي بهذه التصورات - كما يقول سيد في صـ٢٠٠ (يقدم للبشيرة هدية هي منهج كامل للحياة، منهج يقوم على تكريم الإنسان وعلى إطلاق يده وعقله وضميره وروحه من كل عبودية، إطلاقه بكل طاقاته لينهض بالخلافة عن الله في الأرض عزيزا كريما كما أراد له خالقه، وفي نهوضه بالخلافة هو حر كريم يملك إذن أن يقدم وأن يقدم «الأمجاد» العلمية والفتوحات الحضارية وهو في أوج حريته وفي أوج كرامته وطاقاته).

مواصفات الدعوة

إن إعلام كل دولة جزء منه دعوة ودعاية لكيانها وشخصيتها وأنظمتها بدأ بالنظام السياسي الحاكم ونهاية بالكيان الفردي والنفسي. فإذا لم نحقق هذا التصور كان الإعلام ساذجا وإضاعة لفرصة لا تعوض للتشكيل والصناعة لمسار الجماهير، بل ولقيادة الإنسانية، إذ نحن شهداء على الناس. كذلك فإذا حصرنا الأمر على الدعوة والدعاية فذلك تضيق لواسع.

بداية لابد من التفريق بين الدعوة الفردية والدعوة الجماعية. إن الدعوة الفردية هي علاقة شخصية بين اثنين يستطيع الداعي فيها معرفة قدرة المدعو الإيمانية فيعطيه من التكاليف ما «يتناسب» مع إيمانه وطاقاته. أما في الدعوة العامة الجماعية فالأمر مختلف، حيث أن المخاطب هم جماهير «متنوعة» المستويات. هنا تكون «صعوبة» الخطاب وحتمية البعد عن الرؤية المذهبية الضيقة وحتمية عدم فرض مذهب أو رأي مذهب على البقية.

ويوضح صاوي في كتابه الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر صـ١٩٠ كيف يتضمن العمل الدعوي والتربوي عددا من الثوابت:

(١) إستقياء ما لا يصح عقد الإسلام إلا به.

(٢) إتباع الأصول الثابتة بالكتاب والسنة.

(٣) شمول الدعوة على مستوى مجموع العمل الإسلامي.

(٤) سلفية المنهج وعصرية المواجهة.

(٥) التغافر في موارد الاجتهاد.

(٦) التوازن بين السنة والجماعة.

(٧) إحياء مفهوم الأمة وتبني المفهوم الصحيح لجماعة المسلمين.

(٨) إحياء فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.

(٩) نبذ التعصب وشد أصرة التآخي على أساس الكتاب والسنة، وهذه هي المبادئ والمواصفات التي يتوجب أن تسير عليه خطة الإعلام الإسلامي.

ثم يذكر الصاوي في صـ١٧٤ الثوابت في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(١) أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وقد يتعين أحيانا.

(٢) عدم اختصاصه بأصحاب الولايات.

(٣) لا إنكار في موارد الاجتهاد.

(٤) حسم المنكر بما ينحسم به من الكلمة إلى السيف.

(٥) وجوب الاقتصار في التغيير على قدر الحاجة.

(٦) بقاء إنكار المنكر بالقلب كاملا وجازما في جميع الأحوال.

(٧) ارتباط وجوب هذه الفريضة فيما وراء ذلك بالقدرة وغلبة المصلحة.

(٨) انتقاض القدرة بالخوف من الأذى.

(٩) فضيلة الصبر على الأذى والتغرير بالنفوس في إعزاز الدين وإجلال الخالق.

(١٠) الكف عن الاحتساب إذا أدى إلى التقابل وتحريك الفتنة بالمقاتلة.

وكذلك يذكر الأستاذ فضيل الأمين مواصفات أخرى:

١- البعد عن مواطن الخلاف الفقهي وعدم فرض الخط المذهبي، (إذ لا إنكار في موارد الاجتهاد) ويقول الصاوي نقلا عن ابن تيمية (مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء، لم ينكر عليه ولم يهجر. ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه. فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين، عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين) (أما الاختلاف فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا اخوة).

٢- البعد عن الأحزاب والعصبيات وعدم فرض التصور الحزبي والإقليمي.

٣- العناية بالتدرج في الخطوات وعدم مطالبة الناس بالعزائم قبل الرخص.

٤- إيثار الناحية العملية الإنتاجية وعدم التركيز على الداعية والألفاظ البراقة.

٥- دفع عجلة الحرية، حرية التعبير والتجمع والنقد وطرح العلاج الغير مباشر.

٦- الشورى كمبدأ إسلامي أساسي، ويكون هذا من خلال ايجاد قنوات الحوار والنقد والمراجعة.

٧- دفع عجلة الحقوق الاجتماعية للإنسان.

٨- الانفتاح على التجمعات السياسية غير الإسلامية، من خلال طرح حضاري ينبثق من أصول إسلامية ويعالج هموم البشرية جمعاء.

٩- استثمار المراسلين الأجانب في بلدان العالم الإسلامي والعمل على كسب احترامهم وتعاطفهم بإمدادهم بما يحتاجونه من معلومات وتسهيل مهمتهم.

خامسا: المستقبل ثلاثي الأبعاد، رباعي المستويات

(١) كيف يكون الحل؟

١- هل الحل هو في وضع الرأس في التراب؟ هل الحل هو في التحريم لامتلاك هذا الجهاز الضار الخطر؟ وهل نملك القدرة على إقناع الجماهير بذلك؟ هل يقتصر امتلاك جهاز الاستقبال الفضائي على الاغنياء ومتوسطي الدخل؟

٢- هل الحل هو في التركيز على إبراز المساوئ لتوضيح فداحة الجهاز وليتم التعامل مع هذا الجهاز بحساسية وحذر، كمن يشرب الخمر وهو يعلم بحرمتها وخطورتها؟ وقد نصل إلى مرحلة القدرة على إلغاء الجهاز من البيوت بعد الإقناع بالخطورة والحرمانية؟

٣- هل الحل هو في الاقتصار على وسائل الدعوة التقليدية من شريط صوتي ومجلة ومحاضرات، وترك مجال التلفاز الخطير للآخرين يعيثون في الأرض الفساد ونحن مطالبون بجعل كلمة الله هي العليا؟

٢- طبيعة البديل الإسلامي

الحل هو في ايجاد البديل الذي يحمل التصورات السابقة للإسلام ويسير بأسلوب الدعوة الحكيم. لذلك فالحل يتحقق من خلال وسائل الاتصال الثلاث:

(١) اللفظي، (٢) الرمزي، (٣) النظامي. وضمن المستويات الأربع التالية:

أولاً- المستوى الفردي

وينطلق هذا الجانب من قاعدة الحديث النبوي القائل (من كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع). وهذا الحديث يشير إلى أهمية الحصانة النفسية من الأهداف التي تختبيء وراء المادة الإعلامية الغير إسلامية فهي ليست موضوعية وليست حيادية، بل هادفة، وتحقيق هذا الجانب بالأساليب الثلاثة في توصيل المعلومة.

(١) البعد اللفظي

إن الثقافة الفردية هي الزاد والحصانة وهي التي تعين الفرد على التعرف على الغث والسمين. ويستطيع الفرد أن يتزود من هذه الثقافة من خلال وسائل البث العديدة من كتاب وشريط ومحاضرة. هذا وتمتليء الساحة الإسلامية بالعديد من

القنوات التقليدية التي تبث هذه الثقافة التي تبين الصح والخطأ في القنوات الفضائية. فمن خلال القراءة والاستماع يتعرف الفرد على ما يكتنفه من وسائل الإعلام، وهذا أقل الواجب على الفرد أن يتعرف على ما يتعرض له ليتعرف على موضعه والأسلوب الصحيح للتصرف.

(٢) البُعد الرمزي

إن مكان وزمان جهاز البث في البيت ونوعية القنوات هو معلم رمزي لمكانة هذا الجهاز عند الفرد. فإذا كان الفرد ذا ميسرة ولكنه ينفق على جهاز البث أكثر مما يطيق فذلك تصرف رمزي على مدى الأهمية. أما الإنفاق المعتدل حيث لا ضرر ولا ضرار واختيار القنوات بدقة تصور وإيمان فهو المؤشر على صحة التصور ومقدار الجهاز في حياة الفرد.

(٣) البُعد النظامي

وهنا محك القصيد في أن يجعل الفرد لنفسه نظاما في التعامل مع قنوات البث. ذلك يعني التحكم المطلق فيما يشاهد الفرد، فلا يجعل الوقت هملا وألا يجعل التنقل بين القنوات هدفا في حد ذاته، إن قنوات البث أشبه بمكتبة تحوي الغث والسمين، ويستطيع الفرد أن ينتقي أطايب الثمر ويترك الفاسد.

إن هذا التنظيم لموضوعات المشاهدة هو مصداق التنظيم الصحيح للحياة الفردية حيث يسيطر الفرد على وقته ونفسه ومشاعره وحواسه، فلا يكون ريشة في مهب الريح تتقاذفه القنوات يمنة ويسرة ولا تتلاعب في البرامج كيف تشاء، بل هو الخصم والحكم.

***

ثانيا- المستوى الأسري والاجتماعي

(١) البُعد الفظي

ويتمثل هذا المحور في «النقاش» والحوار - بدلا من التشنج - الأسري حول القضايا التي يتم عرضها في قنوات البث الفضائي. وهذا يعني إن يقوم رب الأسرة بنقاش افراد أسرته فيما يشاهدون. هذا النقاش يعطي الفرد الحصانة في التحكم في ما يتعرض له من تصورات وتصرفات. هذه الوسيلة تدرب الفرد على أن يفكر ويعمل عقله في كل ما يشاهده ولا يأخذ الأمور على أنها حقائق مسلمات لا نقاش فيها.

بذلك «يضعف» أثر الوسيلة على الفرد الذي يحاور ويناقش وبل ويجعل الخطأ في الجانب الآخر. كذلك يستطيع رب الأسرة أن يقوي هذا الجانب من خلال التثقيف الذاتي للأفراد أسرته من خلال القراءة والاستماع للشريط وحضور المحاضرات التي تناقش هذه المواضيع. بذلك يصبح الفرد محصنا عقليا ولا ينهزم من النظرة الأولى.

(٢) البعد الرمزي

وكما تصرف الفرد وحده مع الجهاز، فكذلك يتصرف الأب أمام أسرته حيث يكون لهم رمزا وقدوة في التعامل مع الجهاز:

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت الرقص

إن الأب الذي يظل ماكثا بالساعات أمام جهاز التلفاز متنقلا بين قنوات البث جامدا سلبيا معجبا فإنه يرسم لأطفاله مستقبلا سلبيا. كأنه في هذه الحالة يقول لأبنائه بدون كلمات أنه يجب عليكم أن تعجبوا بهذا الجهاز الجميل الذي هو سر السعادة والهناء، وأن كل ما يعرضه هذا الجهاز حق وحقيقة. أما الذي يأخذ منه ويرد عليه وينتقي منه الطيب ويهمل الفاسد فإنه كذلك يرسم لأبنائه الرمز والقدوة في كيفية التصرف مع هذا الجهاز ذي الحدين.

(٣) البُعد النظامي

إن تنظيم أوقات التعرض للجهاز وتنظيم اختيار قنوات البث هو نظام معلوماتي يربي ابناء الأسرة في كيفية التعامل مع الجهاز. بذلك تصبح الأسرة منظمة لنفسها ومسيطرة عل ما تتعرض له. بل وتناقش مع بعضها البعض ما يطرأ لها من أفكار.

اما الأسرة التي يتحكم فيها الجهاز فهم يتربون نظاميا على السلبية أمام القوة الغاشمة. كيف لا وهم جامدون أمام الجهاز الذي يتكلم ويربي ويرسل وهم صامتون ومستسلمون ومستقبلون للرسالة الفضائية.

ثالثا- المستوى الوطني

وذلك بتبني إيجاد البديل لتأمين الحصانة الوطنية والأمن الفكري ولضمان استمرار الشخصية والثقافة الوطنية وأصالة الانتماء وثباته. ويتحقق هذا الجانب بالأبعاد الثلاثة في توصيل المعلومة.

(١) البُعد اللفظي:

وذلك من خلال الارتقاء بالمستوى اللفظي لدى الكوادر الإعلامية في جميع التخصصات من مصطلحات وأساليب لغوية إذ أن من البيان لسحرا. لذلك يتوجب التركيز في تدريس طالب الإعلام على المستوى اللغوي البلاغي الأدبي خاصة إننا عرب وللشعر والكلمة وزنها التاريخي النفسي عند الفرد العربي حتى يصبح الإعلامي كالشاعر، ومثال ذلك قول بشار يصف جيشا ويقول:

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى ويالشوك والخطى حمر ثعالبه

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(٢) البُعد الرمزي:

وذلك بواسطة (١) تقوية الرموز الإعلامية الوطنية التي تعلي شأن الشخصية الوطنية. وهذا قد يتركز بواسطة تكوين الرموز القصصية للأطفال والشباب حتى يجدون قدوات رمزية يقتدون بها. كذلك (٢) من خلال تحويل المعاني السابقة من الورق إلى رموز تخصصية في الشاشة وذلك من خلال أسرار التخصص المؤثرة وذلك يتأتى من خلال التمكن والتعمق في التخصص الإعلامي - مثال ذلك أن توزيع المعلومات في الموقع والشاشة ليس شغلا لمساحة، والألوان ليست على حسب القدرة المالية، والمونتاج ليس جمعا للصور والإضاءة ليست تظهيرا للحدث، والتصوير ليس نسخا للموضوع - كل ذلك هي أساليب رمزية تحقق بطريقة غير مباشرة مالا تحققه الكلمات المجردة مهما

كانت مؤثرة. ذلك أن المعلومة أ+ المعلومة ب= معلومة ج، وليس معلومتين وليس أب، مثال ذلك أن اللون الأصفر + الأخضر= برتقالي وليس (اخضر واصفر).

(٣) البُعد النظامي

أولاً: أن تطوير النظم والسياسات هو مما يساعد على «تطوير» الأداء، ذلك أن النظام يحدد المسار. أما اذا تم ترك الحبل على الغارب فسوف تطيش سهام الإنتاج يمنة ويسرة. إن الإنتاج الإعلامي الوطني لابد أن تكون له مسارات واهدافه قريبة وأخرى بعيدة، كالخطة الاقتصادية والتعليمية.

إن المقصود بالسياسة الإعلامية - كما يوضحه محمد مصالحة في كتابه السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي صـ ٢٠ أنه مجموعة الأسس النظرية السياسية والثقافية والاجتماعية والقانونية التي تحكم عمل الأجهزة الإعلامية وتحدد أهدافها ووظائفها والموضوعات التي تعالجها في المجال القومي وتشكل دستورا موجها للسياسات الوطنية الإعلامية وخلفها سلطة عليا تراعى تطبيقها والالتزام بها.

ثم يضيف في ص٢١ أن منظور «القيم» التي تنبني عليها السياسة الإعلامية هي:

(١) القيم الروحية والمنابع الفكرية الحضارية القائمة في المجتمع الإسلامي والتي تعتبر مكونا لشخصيته ونظامه الاجتماعي والاقتصادي.

(٢) مكونات الفكر الإسلامي القائم على وحدة الأمة الإسلامية وثقافتها وتفوق المصالح الإسلامية على سواها من الاعتبارات.

(٣) ديموقراطية الاتصال والإعلام)، فلا سور صينيا ولا حائط ألمانيا ولا تشويش سوفيتيا. وذلك ما أشار إليه مالك بن نبي صـ٢٣ من أن المجتمع ليس «معزولا»، بل إن تطوره مشروط ببعض الصلات «الضرورية» مع بقية المجموعة الإنسانية.

وقد ذكر مصالحة في صـ١١ السبب الذي من أجله تسعى أي دولة إلى تأصيل سياسة إعلامية:

(١) قوة سياسية في توجيه الرأي العام وصناعة القرار السياسي.

(٢) أداة تعليمية قوية مستمرة.

(٣) قوة اقتصادية في توجيه حركة السوق وتوجيه مسار الأموال.

(٤) أداة سياسية في صراع أي تجمع بشري.

ثم يحدد بعد ذلك مرحلية العمل كالتالي:

(١) تطوير النظرية الإعلامية وفق المراحل والأهداف المتجددة والتحديات المتزايدة.

(٢) وضع استراتيجية إعلامية لا تهمل الاستثمار المعلوماتي عن طريق شركات متخصصة.

(٣) تكوين أرشيف ثقافي فكري حديث متميز، يهتم بالقضايا التي ينبغي أن تشغل الإعلام الإسلامي، لتخفيف الاعتماد تدريجيا على العالم الغربي، والتخلص من المنظور الغربي.

(٤) التخصص في توجيه الخطاب لمختلف المستويات الإسلامية وغيرها.

(٥) إدراك طبيعة الإعلام الغربي ودوره في استمرار تخلف الأمة وفسادها.

(٦) ارتباط السياسات الإعلامية بالأهداف التنموية الإسلامية.

(٧) مواكبة التطور التقني الهائل في ميدان الإعلام.

(٨) اقتحام ميدان الصناعات الإعلامية ضمن الاستثمار الإسلامي.

(٩) تعزيز الصلة بين مؤسسات البحث والمعلومات ومؤسسات الإعلام.

ويشير مصالحة في صـ١٥ إلى سلبية في الإعلام الوطني، أنه من خلال مراجعة سياسات وسائل الإعلام العربية أن وسائل الإعلام رهينة لإدارة السلطة السياسية وأن رسالتها شديدة الارتباط بالسلطة الحاكمة التي تقرر في العادة مسار المجتمع وأهدافه بحيث نرى أن وسائل الإعلام في جمعها وبثها للمعلومات والأخبار تفتقر للعرض الموضوعي للوقائع، وتميل إلى أخذ الطابع

الدعائي لأن الهدف الرئيسي من عملها هو خدمة من في أيديهم صناعة القرار والتأثير في السلوك السياسي لمواطنيهم.

ولكي يستطيع الإعلام الوطني أن يحقق طموحاته فإن من الأولى اتباع ما ذكر حمزة الفعر في ندوة المسئولية الأمنية للمرافق الإعلامية في الدول العربية صـ٢١٧ من أهمية الجوانب التالية:

(١) القضاء على التناقض بين القيم التي تعرضها وسائل الإعلام والقيم التي تعرضها وسائل الدعوة.

(٢) وجوب التكامل بين وسائل الإعلام و أجهزة الدولة.

(٣) العمل على تكوين وكالات أنباء محلية ذات قدرة وكفاءة عالية لإنتاج البديل.

(٤) العمل على ايجاد بدائل مرتبطة بتراث وحضارة الأمة.

أما الصاوي فيذكر في كتابه الثوابت والتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر صـ٢٠١الثوابت المحكمة في التعدد الراشد المقبول والتي يمكن تطبيقها على النشاط الوطني الإعلامي والتكامل بين الدول الإسلامية التي تعمل كل منها فيما تقدر عليه، بل إن هذه الثوابت تشير إلى الكيفية التي سوف تسير عليها العقلية الإسلامية عندما توجه الإعلام، بل عندما يصبح إعلامنا إسلاميا.

(١) وحدة الأصول والمذهبية الاعتقادية.

(٢) حصر الخلاف في دائرة الفروع والمسائل الاجتهادية.

(٣) بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين.

(٤) وحدة الموقف السياسي والجهادي.

(٥) التكامل مع الآخرين.

ثانيا: كوادر ومتخصصون وهذا الجانب الذي يترجم تلك السياسات في واقع عملي على الشاشة، ولكن أين الإسلاميون من التخصصات الإعلامية الإنتاجية. من يكتب السيناريو ويقوم بالتصوير والمونتاج والإضاءة والإخراج،

أين الإسلاميون والمسلمون من كل هذه التخصصات؟ لماذا لا يشارك العلماء المسلمون في القنوات الإعلامية التلفازية بالذات «رغم» ما فيها من غبش؟ ألم يكن ﷺ يجتاح المجالس والأندية ويرتاد المنتديات والأسواق رغم ما فيها من مخالفات وشرك وأوثان؟ إن تخلف الإسلاميين عن أقسام الإعلام «دراسة» وعن قنوات الإعلام «مشاركة» هو السبب فيما نعانيه اليوم من قصور وتخلف وإنهزامية في مجال الإعلام الإسلامي.

وهذا هو بيت القصيد ومعول الإصلاح وأمل المستقبل والوسيلة الحتمية المتبقية لتحقيق الطموحات. ولهذا الجانب عدة شروط:

(١) إعداد الكوادر الإعلامية التي تحمل شخصية أمتها والمتمثلة في (أصوليتها وثقافتها)، مع الوعي بالثقافات والأصوليات العالمية. ذلك يعني أهمية:

-١- الحصيلة الشرعية واللغوية.

-٢- الحصيلة الثقافية إلى جانب.

-٣- الحصيلة التخصصية الإعلامية.

(٢) أن يتم صقل الدراسة من خلال الممارسة العملية للواقع الإعلامي وذلك من خلال جعل ساعات دراسية يتم فيها الحصول عليها من خلال التمرس في إحدى المؤسسات الإعلامية.

(٣) النشاط اللاصفي لهذه الكوادر وذلك هو محور كل المخططات السابقة حيث يتم فيه تكوين وصقل الدوافع الذاتية للعمل الإعلامي.

ثالثا: قنوات للبث على مستوى الوطن تعمل ضمن تلك السياسات والأهداف ولتستثمر الكوادر الوطنية المتخصصة. إن القنوات الإعلامية هي التي تترجم الطموح اللفظي وتوظف الكوادر وتحول الأهداف والطموحات إلى حقائق.

***

رابعا- المستوى القومي

لقد مرت قنوات البث الإذاعية في العالم بمراحل عدة تذكرها جيهان رشتي في كتابها الإعلام الدولي بالراديو والتلفزيون، نقلا عن Burton Paulu والتي يهمنا منها المرحلة الرابعة حيث بدأت هذه المرحلة قبل الحرب العالمية الثانية واستخدمت فيها الموجات القصيرة وذلك بهدف التأثير على جماهير الدول الأخرى. وفي سنة ١٩٣٠م كان الاتحاد السوفيتي أول دولة أدركت القدرة السياسية للبث الإذاعي. وفي عام ١٩٣٢م استخدمت ألمانيا اللغة الإنجليزية لجمهور أمريكا الشمالية، بل واللغة العربية في عام ١٩٣٨م. اما فرنسا ففي عام ١٩٣٦م شنت حربها الإعلامية على كل ألمانيا. وكذلك في نفس السنة استخدمت إيطاليا ١٨ لغة لبثها الإذاعي الدولي.

وتكمل الدكتور جيهان في عرضها انه قد يتطرق إلى الذهن أن الإعلام حر في الغرب وهو ملك للقطاع الخاص البعيد عن تأثير الدولة، والعكس هو الصحيح حيث أن البث عبر الحدود سوف يؤثر في السياسة الخارجية للدولة صاحبة البث، لذلك تتدخل الحكومة وتسيطر عليها بشكل أكثر من سيطرتها على البث الخاص بالجمهور المحلي. ومما يؤكد ذلك أن تمويل هذه الإذاعات هو تمويل حكومي حيث إنه لا يمكن الحصول على أموال من المستمعين خارج الحدود.

ومثال ذلك أن ميزانية (صوت امريكا) هي جزء من ميزانية التنفيذ العامة لوكالة الاستعلامات الأمريكية. اما كندا فتدفع تكاليف البث من إدارة الخدمة الدولية لهيئة الإذاعة الكندية ومن اعتمادات يخصصها البرلمان. وفي عام ١٩٥٠م أصبح عدد الدول التي عبر حدودها أكثر من ٦٢ دولة، وهي الآن بالمئات. ويشمل الأمر القوات الأمريكية التي لها شبكة وقنوات بث خاصة لجنودها عبر البحر حيث تقدم لهم برامج ترفيهية وإخبارية عن أهم الأحداث لمدة ١٩ ساعة يوميا.

يستثنى من هذا الدعم الحكومي إذاعة راديو نيويورك وورلد وايد Radio New - York World Wide حيث أنها كانت محطة تجارية. واليوم تمتلك كنيسة يسوع المسيح المارونيج هذه الإذاعة.

وتطور الأمر من الإذاعة إلى التلفزيون حيث نشأت شبكة أوروبا الغربية

(يوروفزيون) لتحقيق أربعة أهداف تذكرها الدكتورة جيهان رشتي صـ٢٠٤.

(١) تبادل الأفلام من مختلف الأنواع.

(٢) تقديم بث حي عن الأحداث السياسية في مختلف الدول.

(٣) تبادل الأخبار.

(٤) حل مشكلة حقوق المؤلف في جميع أنحاء العالم. وحيث أن هذه الشبكة تخضع لسيطرة حكومية فإنها تقوم على عرض وجهة النظر الرسمية وعدم عرض وجهة النظر المعارضة.

ويناظر هذه الشبكة الغربية شبكة أخرى شرقية باسم (إنترفزيون) بأهداف تذكرها جيهان رشتي صـ٢٤٨.

(١) الإرسال الحي للبرامج.

(٢) تقديم برامج تتناول الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدول الأعضاء.

(٣) تبادل البرامج الفنية للمؤلفين الكلاسيكيين والمعاصرين في الدول الأعضاء.

(٤) تقديم برامج الأطفال والشباب.

(٥) تقديم برامج ترفيهية.

(٦) تقديم الأحداث الرياضية الرئيسية القطرية والدولية.

وهناك شبكة (نوردفزيون) التي تربط بين الدانمراك وفنلندا وايسلندا والنرويج والسويد. ولهذه المحطة أهداف تذكرها جيهان رشتي.

(١) تبادل المصالح الثقافية المشتركة.

(٢) تآلف في مفاهيم البرامج الأساسية التي تحقق المصالح المشتركة للدول الأعضاء في توفير مضمون جيد وتخفيض النفقات الفنية في إنتاجه.

(٣) تبادل البرامج على أساس غير تجاري.

وأيضا توجد شبكة (اسيافزيون) ويماثلها (الشبكة العربية) ولكن كما تذكر جيهان رشتي صـ٢٨٨ أن هناك عقبات تعوق التنفيذ العملي للمشروع العربي الذي يعتبر خطوة أساسية في طريق الوحدة العربية. أما شبكة (اتحاد إذاعات الدول العربية) فتستطيع أن تحقق أهدافها من خلال قنوات الاتصال عبر قنوات البث الفضائية عبر الأقمار الصناعية فبدلا من الاجتماع والتبادل اليومي للأخبار فإن التبادل الآني والطموحات المستقبلية يمكن تحقيقها الآن.

وهذا حقًا واجب قومي وحتمية مستقبلية حيث أصبح العالم الإسلامي - كما يوضح محمد علي العويني في كتابه الإعلام الإسلامي الدولي صـ٣١ - تابعا في النظام الدولي وأصبح يدور بغير وعي وبوعي في فلك النظم المسيطرة في النظام الدولي. فبعد أن كان العالم الإسلامي قوة مسيطرة في العالم، أصبح مفتتا وتابعا.

بل أشار العويني في صـ٨٦ إلى أن العالم الإسلامي في حاجة إلى صياغة خارجية جديدة مرتبطة بالدفاع عن الدين الإسلامي ومعتنقيه في العالم كما يدافع أصحاب الديانات الأخرى عن معتنقيها في مختلف بقاع العالم، وأن يتخذ الدفاع عدة وسائل سياسية وإعلامية وثقافية واجتماعية حتى لا يضيع الإسلام وينحسر عن العالم على مسمع من العالم الإسلامي وبصره.

(١) البُعد اللفظي:

فأنى لبنيان أن يتم كماله إن كنت تبني وغيرك يهدم

وذلك يعني الاهتمام بالخطاب القومي «المشترك» والطرح «الموحد» للقضايا. وهنا يأتي دور الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي في محاولة «توحيد» التصورات والتصرفات. اما أن تعيش كل دولة مآسيها وتنادي ببناء ما قد يدعو غيرها إلى هدمه، فإن التناقض الفكري في الحوار والطرح يؤدي إلى التذبذب والبحث عن قنوات أخرى للحوار.

وهنا نشير إلى مشورة عويني صـ٢٧٥ إلى أهمية دور الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمساجد الذي يهدف إلى «تكوين» رأي عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في إطار الكتاب والسنة، ومواجهة

الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين وبناء الشخصية الإسلامية.

(٢) البُعد الرمزي:

ويتحقق ذلك من خلال الاهتمام بالقدوات والعناصر «الرمزية» في الأمة وبالذات القصص ورسم القدوات أمام الأجيال. فبدلا من القصص والأفلام التي تربي في الشباب والأطفال الحب والاعجاب بالقدوات غير الإسلامية ولم تنبع من ثقافتنا، فلابد من أن نرسم أمام أجيالنا قدوات وقصصا ومواضيع محلية قومية حتى يعيش أبناؤنا قضايانا بدلا من أن يهتموا بمعاناة ومواضيع الشرق والغرب.

(٣) البُعد النظامي:

يتمثل الحل النظامي على مستوى الأمة من خلال جانبين: (١) العمل المؤسسي، (٢) قنوات البث الفضائية. إن العمل المؤسسي يتمثل في صياغة السياسة الإعلامية على مستوى الأمة العربية والإسلامية تخطيطا وتنفيذا، كذلك أن يتم تتويج هذه الخطط والنظم والمؤسسات في قنوات فضائية تصوغ الرأي العام الإسلامي عمليا من خلال برامج ومشاريع راقية تصل إلى مستوى الطرح العالمي، إن لم يكن أفضل.

وهنا نشير إلى ما ذكره عويني صـ٢٧٦ من أهمية المؤسسات النظامية والتي منها مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الذي يضم عددا من العلماء والفقهاء الذين يدرسون واقع الأمة الإسلامية والمشاكل التي تواجهها، وتقديم الحلول على أساس القرآن والسنة والإجماع، ويسعى هذا المجمع إلى إحياء التراث الفقهي ونشره وإبراز تمييز الفقه الإسلامي عن القوانين الوضعية، وبيان حكم الشريعة في المسائل المستجدة التي تواجه العالم الإسلامي.

ولقد استطاعت كل من المجموعة الإفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية بمبادأة من المنظمة الدولية للتربية والثقافية والعلوم (اليونسكو) أن تتوصل إلى صياغة سياسات إعلامية خاصة بها على صورة إعلان يحدد مرتكزات هذه السياسة، وذلك انطلاقا من شخصية هذه المجتمعات وتصوراتها الثقافية وذلك بهدف تدعيم استقلالها السياسي والاقتصادي، سواء بسواء.

وهذا هو مصداق نظرية المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام، حيث ثبت بالتجربة العالمية والتاريخية خطأ نظرية السلطة والحرية. بل إن مفكري فرنسا يخشون على ثقافتهم من الثقافة الأمريكية والتي لا تتعدى أن تكون لهوا مباحا متمثلا في ما يسمى (ديزني ورلد)، ولكنه يحمل في طياته ثقافة أمة «أخرى».

ويقول عماد الدين خليل في كتاب حول إعادة تشكيل العقل المسلم «ونحن نعترف أن ما أصاب العقل المسلم من صدوع ورضوض وكسور وتقطيع، «فصده» عن المضي إلى غايته وحال بينه وبين أداء رسالته لا يمكن أن يعالج بكتاب أو مقال أو محاضرة أو بحث، وإنما يتعلق الموضوع «بصميم» المشكلة الثقافية والمناخ الثقافي وعالم الأفكار، الذي يشكل «المحضن» الصحي لإعادة تشكيل العقل وتربيته ومنحه القدرة على العطاء والحماية من الانكسار.

ولابد أن تأتي المعالجة «طويلة النفس» دائبة ومستمرة تعطي من الزمن والمحاولة ما تستحقه الأمراض المزمنة من الصبر والأناة وبراعة المعالجة ورسم المنهج الصحيح وتعميق أبعاده ومتابعا ذلك بأكثر من وسيلة ليتمثله الفرد المسلم فتحصل النقلة المطلوبة ونسترد المواقع المفقودة ولا نخدع أنفسنا بالفجر الكاذب.

ذلك أن العالم الإسلامي اليوم هو - كما يقول مالك بن نبي صـ٨٣ (خليط من بقايا موروثة عن عصور قديمة وأجلاب ثقافية حديثة جاء بها تيار الإصلاح وتيار الحركة الحديثة، وهو خليط لم يصدر عن توجيه واع أو تخطيط علمي وإنما مجموعة من رواسب قديمة لما أتصف من طابع القدم ومستحدثات لم تتم تنقيتها). والمقصود هو إيجاد السياسات التي تضمن شخصية هذه الأمة.

وهناك حتمية أخرى، إضافة إلى السياسات، وهي حتمية وضع القوانين والأنظمة التي «تصون» تلك السياسات والأهداف، مثال ذلك قوانين موضوع الدعاية والإعلان في المجتمعات الإسلامية حيث أدخلت على المجتمعات الإسلامية العديد من السلوكيات والأفكار التي تتنافى مع التصورات الإسلامية، ناهيك عن هروب الملايين من النقد الوطني عبر الحدود حيث أن هذه الشركات ليست وطنية ١٠٠٪. وهناك حتمية ثالثة: العمل المؤسسي الذي يترجم السياسات ويعمل بالقوانين وضمن المؤسسات.

وقد أشار عويني صـ١٧١ إلى أهمية رابطة العالم الإسلامي في أخذ المبادرة في «التأثير» على المستوى القومي والعالمي حيث تتضمن الرابطة قادة الرأي والفكر في العالم الإسلامي، بل ويجوز زيادة عددهم لاستكمال التمثيل الإسلامي بترشيح من الأمين العام وموافقة المجلس.

ويضاف إلى الرابطة لجنة التنسيق العليا للمنظمات الإسلامية في العالم الإسلامي والمجالس الإسلامية للتنسيق - كما أشار إليها عويني صـ٢٧٧ - التي تتألف من ثلاثة ممثلين عن افريقيا وآسيا وممثل عن امريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا واستراليا وواحد من كل المنظمات الإسلامية العالمية.

ويضاف إلى المنظمات السابقة (اللجنة الدائمة للإعلام العربي) في نطاق الجامعة العربية. وتجتمع هذه اللجنة مرتين في السنة وتبحث مشروعات وبرامج إعلامية عربية مشتركة. وغالبا ما تكون هذه المشروعات مزيجا من المقترحات التي تقدمها وزارات الإعلام العربية والإدارة العامة للإعلام في الأمانة العامة ويتم تمويلها من صندوق الدعوة العربية وصندوق الإعلام الخاص. وقد قامت هذه اللجنة بإيجاد صيغة تنظيمية للعمل من خلال اللجنة الدائمة المسئولة عن التخطيط والإشراف على كافة النشاطات الإعلامية للجامعة.

وأهم من كل ما سبق هو (مجلس وزاراء الإعلام العرب) والذي هو الأقرب إلى إصدار القرار والقيام بالتنفيذ. إن وظيفة هذا المجلس هي النظر في السياسة الإعلامية المشتركة وتحديد مرتكزات هذه السياسة ومنطلقاتها الأساسية في خدمة القضايا القومية.

ويضاف كذلك إلى هذه المنظمات العامة فإن هناك العديد من المنظمات المتخصصة مثل اتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد وكالات الأنباء العربية، واتحاد الصحفيين العرب، والمركز العربي للدراسات الإعلامية، واتحاد السينمائيين العرب، واتحاد الموزعين العرب، والمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية، ومجلس وزراء إعلام دول الخليج، وتلفزيون الخليج ووكالة أنباء الخليج.

ولكن المهم هنا - كما ذكر محمد مصالحة - في ندوة المسئولية الأمنية للمرافق الإعلامية في الدول العربية عن سلبية الإعلام العربي من حتمية «التنسيق» بين نشاط هذه المؤسسات الإعلامية العربية وتلك مسألة وجوبية لا تقل أهمية عن نشأة المنظمات ذاتها، فإنه، أي الإعلام، كأي نشاط إنساني آخر لا يكتسي مظهر الرقي والأداء المتفوق ما لم يكن «منظما» ويتم في إطار نسق مؤسسي يجنبه البعثرة والتشتت والتناقض والتكرار. بل إن محمد مصالحه كرر مقولته من أن أعمال المنظمات العربية يشوبها التضارب وتنازع الاختصاص وتكرار الجهد.

ويشير مصالحه ص ١٦٨ إلى أبرز سلبية يعاني منها الإعلام العربي من أن صناعة الأخبار في العالم العربي تعتمد أساسًا على وكالات الأنباء الأجنبية الخمس التي تسيطر على ما نسبته ٨٠٪ من الأخبار المستخدمة من قبل وسائل الإعلام العربية، وكذلك الحال بالنسبة للإنتاج التلفازي الأجنبي المستورد الذي يحتل حيزًا زمنيًا كبيراً من وقت الشاشة العربية، وكذلك القطاع السينمائي. بل إن مصالحه يؤكد السلبية الخطيرة حيث يشير إلى السيطرة الإعلامية والثقافية الاستعمارية وما تحمله من أخطار منكرة على القيم العربية والإسلامية وترويج للمفاهيم الحياتية الغربية في أوساط النشء والأجيال العربية.

ويؤكد هذه السلبية التهامي نقرة في نفس الندوة ص ٢٠٦ قائلا: إن «التناقضات» في الاستراتيجية الإعلامية العربية تتسم بعدم الشمول. إذ لا يمكن الادعاء بأن لنا إعلامًا قويًا «موحداً» والبلاد العربية تختلف في مواقفها الإعلامية إزاء بعض القضايا العربية.

وكذلك تتضح هذه السلبية في مقولة مصالحه في كتابه **السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي ص ٤٨** حيث يذكر بعض المعوقات لجهاز الإعلام العربي:

١ـ عدم وضوح الهدف السياسي المشترك لأجهزة صنع القرار الإعلامي وأدواته في الداخل والخارج.

٢ـ انعكاس الخلافات السياسية العربية على عملي الجهاز الإعلامي وأدواته في الداخل والخارج.

٣ـ إشراف الأجهزة غير الإعلامية على الشئون المالية والإدارية المتصلة بالسياسة الإعلامية مما يجعلها تخضع بالتالي لمعايير تحول دون بناء كادر إعلامي قادر على الحركة والتنفيذ السريع الناجح.

٤ـ وأخيراً تنازع الاختصاص بين إدارات الأمانة العامة ذاتها بشأن العمل الإعلامي وارتباطية بعثات الجامعة في الخارج على سبيل المثال بعدد من الإدارات بدلا من إدارة واحدة هي الإدارة العامة لشئون الإعلام.

ويختتم العويني كتابه ص ٢٨٣ بالإشارة إلى أن الإعلام الإسلامي الدولي قادر على أن يقدم إطاراً مثاليًا للتفاهم الدولي. وذلك من خلال إبراز الحقيقة، والتزام الموضوعية، والقابلية للتصديق من خلال المضمون، ومن خلال التلقي، والابتعاد عن التشويه، والسعي لتحقيق السلام الدولي والتعاون الدولي، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية والسعي لخير الإنسانية. وهذا ما تم الإشارة إليه سابقًا عند الحديث عن خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، وكذلك عند الحديث عن الدعوة الإسلامية إذ يتصف الإعلام الإسلامي بخصائص الإسلام ومواصفات الدعوة.

ثم يشير عويني ـ أخيراً إلى أن هذه الأخلاقيات غير سائدة في الإعلام الدولي، الذي يعد كثيراً من الحالات معوقًا للتفاهم الدولي، ولا يلتزم بالموضوعية، بل يشوه الوقائع، ويبرز وجهة نظر دون أخرى، وهذا يوضح سوء توزيع مصادر الأنباء في العالم، إذ بفضل الإمكانيات الاقتصادية والتقدم التكنولوجي والسياسات الخارجية الأكثر نضجًا من غيرها، أمكن للدول الكبرى أن تتحكم في الإعلام الدولي. وفي هذا الإطار تم احتكار تفكير الإنسان بحيث أصبح الفرد موجها دون إدراك منه في حالات كثيرة بمفاهيم على جانب واحد من الحقيقة.

وهنا يمكن الإعلام الإسلامي الدولي أن يوجه هذه الأساليب بإبراز وجهات النظر المختلفة، وضع الجوانب المختلفة للموضوع، وعدم التشويه، ويقدم للبشرية الحقيقة الإلهية، بالإضافة إلى مواجهة أساليب التربية السائدة.

وهنا جانب أكاديمي أشار إليه عدنان جلون في نفس الندوة السابقة ص ٢٧٥ من أهمية إخضاع عملية الإعلام بعناصرها المختلفة ـ باعتبارها عملية

هادفة وموجهة ومقصودة للتأثير على المعارف وإدراك وثقافة وآراء واتجاهات وأنماط السلوك ـ للبحث العلمي طبقًا لأهداف واضحة موضوعة ومخططة. وهنا تجدر الإشارة إلى عدم التكافؤ بين التقدم التكنولوجي لوسائل الإعلام وبين فاعلية الأبحاث الخاصة بهذا المجال والتي تأخرت عن متابعة التأثيرات التي أحدثها هذا التقدم.

وكذلك ذكر مصالحه ص ١٢٨ أن الحل للإعلام القومي العربي يتمثل في نقاط:

١ـ تخفيض حدة العوائق السياسية على حركة المواد الإعلامية.

٢ـ إزالة العوائق الفنية في نقص التجهيزات التحتية لوسائل الإعلام.

٣ـ اعتماد التخطيط المشترك لتجسيم مبدأ التكامل.

٤ـ تقليص وإنهاء الحواجز الجمركية علي المواد الإعلامية بين الدول العربية.

٥ـ أن تدرج الدول العربية في خططها التنموية اعتمادات سخية لمشروعات التنمية.

٦ـ الاستفادة المثلى من المنظمات الدولية المعنية بهذا النشاط على مستوى النشاط القومي.

وأن الواقع يشهد أن المؤسسات الإعلامية على مستوى العالم الإسلامي تعيش تطوراً وعملاً دؤوبًا، ولكن إذا لم يتم تتويج هذه الخطط والقرارات والتوصيات بتصرف عملي فلن يكون جميع الجهد المؤسسي إلا حبرا على ورق. هذا ولن يتحقق كل ذلك إلا من خلال إعداد «الكوادر» الذي لا يكفي أن تكون مسلمة، بل ذات تخصص «دقيق».

***

سادسًا: المناقشة

إن الإعلام الإسلامي «ليس» إعلامًا دينيًا ـ بالمعنى الغربي ـ ولا توجيها وإرشادا ومحاضرات فقط، بل إعلام «الحياة» الإنسانية بصبغة ربانية تحمل هذا الدين الذي هو تبيان (لكل شيء) بطريقة غير مباشرة بل وفنية.

هذا الدين الذي يحمل تصورات ومقومات الحضارة التي ترتقي بالإنسان إلى «أعلى» درجات الكمال والرقي الإنساني، هذا الإعلام الإسلامي يخاطب المجتمعات الإنسانية بما «تطيق» وتحتمل ولا يكلفها في دعوته إياها إلى الإسلام ما لا تطيق.

لذلك فالإعلام الإسلامي ليس «تنطعًا» ولا عنفًا بل أخذًا (بالتدرج ورقيًا) بالإنسان المسلم حتى يأتيه اليقين في «شمولية» تعطي الإنسان ما تحتاجه فطرته الإنسانية دون إهمال لعنصر على حساب آخر.

هذا الإعلام الإسلامي قد «اختلط» به في الواقع المعاصر ما جعله «قاصراً» عن تأدية مهمته على الوجه المطلوب. لذلك فإن «تجنب» هذه السلبيات سوف «يرقى» بمستوى الطرح الإعلامي المعاصر.

هذا هو الإعلام الإسلامي الذي «يرقى» بالإنسان إلى قمة إمكانياته. كيف لا وهو مقتبس من دين الله الذي يحمل خصائص ومقومات لا يملكها غيره من الأيديولوجيات، بل إن معالم ومواصفات الدعوة تشير إلى أن هذا الإعلام لن يكون حربًا على مجتمعه ولا أعدائه. لذلك فالإعلام الإسلامي يحمل خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، بل ومواصفات الدعوة المسالمة المحبة للإنسان.

وإن الاهتمام بالإعلام الإسلامي ينبع من الاهتمام بالحفاظ على «شخصيتنا» من الضياع وسط الزخم العالمي، وليس عداء لهذا الزخم لذاته. هذا الحرص ليس «عداء» للآخرين بل هو «عزة» بالذات. ذلك أن التطوير لأى أمة لا بد من أن يعتمد على «أصولها» لا على أصول الآخرين، وفي نفس الوقت نقيم «جسور» الود مع الآخرين، مهما كان انتماؤهم.

ذلك أن الإعلام الإسلامي ليس دعوة «للقوقعة» والانعزال عن الآخرين، بل

هو ليس «معاديًا» للآخرين إذ منعنا الله من أن نسب الذين كفروا حتى لا يسبوا هم الله بغير علم وردة فعل لسبنا لهم، وإن سبونا فهم ليسوا قدوة لنا.

وهنا تنبع أهمية الإعداد «لمستقبل» الأجيال المعاصرة إعلاميًا وذلك من خلال قنوات بث المعلومات اللفظية والرمزية والنظامية ومن خلال خطوات أربع متكاملة، المستوى الفردي، والأسري، والوطني، والقومي، وتأتي الوسيلة النظامية في المرتبة الأولى قوة وتأثير، وبعدها تأتي الوسيلة الرمزية في القوة ونقل المعلومة، أما الأسلوب اللفظي فهو أضعف الوسائل قوة وتأثيراً. وهذه الوسائل الثلاثة يتم اتباعها في مراحل المواجهة الأربعة: الفردي، والأسري، والوطني، والقومي.

ذلك يعني أن يتم توجيه المعلومة على المستوى الفردي لفظيًا بالاطلاع والثقافة الذاتية، ورمزيًا من خلال رمزية الزمان والمكان للجهاز واختيار القنوات. وكذلك نظاميًا من خلال الحكم في نوعية المشاهد ونظام البث فلا يترك الأمر على علاته وعشوائيًا بل يكون كالنحلة تنتقي أطايب الزهر.

وكذلك بالنسبة للأسرة فيتم تناقل المعلومة لفظيًا من خلال النقاش والحوار الحضاري الهادىء الذي يوحي بالقناعة وحرية الاختيار. وكذلك رمزيًا من خلال قدوة الأب أمام أبناء أسرته ونظاميًا من خلال اختيار القنوات الصالحة للمشاهدة ونبذ القنوات الفاسدة.

ويستمر الأمر في المرحلة الوطنية إذ تتناقل المعلومة على المستوى الوطني لفظيًا من خلال المحاضرات التوعوية التي ترقى بالمستوى المعلوماتي للأفراد فيصبحوا على قناعة وحصانة من البث الفضائي. وكذلك رمزيًا من خلال بناء الرموز الوطنية واحترامهم وتقوية الجانب التخصصي الرمزي في المجال الإعلامي. وكذلك نظاميًا من خلال ثلاث أساليب:

١ـ القواعد والقوانين الوطنية التي تحمي الإنتاج الوطني.

٢ـ إعداد الكوادر المتخصصة الإعلامية التي تعي واقع الإنتاج الفعلي للمادة الإعلامية.

٣ـ قنوات للبث الإعلامي لتواجه الداء بالدواء على مستوى الوطن ولتحقق الآمال التي تم تشييدها في القوانين والخطط اللفظية والرمزية وبعد إنتاج الكوادر.

وقمة المواجهة هى على المستوى القومي لفظيًا حيث يتم كشف الخطط وتربية وتحصين الأجيال بالزاد الثقافي المطلوب. وكذلك رمزيًا من خلال احترام ودعم الرموز القومية سواء في القصص والأفلام والمشاريع. وختامًا يتم من خلال الوسيلة النظامية حيث تتوحد المؤسسات القومية في وضع التصورات وتنفيذ القرارات.

ويكتمل الدور القومي مع الدور الوطني بالذات في مجال إعداد الكوادر والتخصصات التلفازية. ذلك أن الأمة الإسلامية تملك معًا ما لا تملكه أى دولة وحدها وتستطيع أن تحقق معًا ما لا تستطيع أن تحققه فرادى. بذلك تستطيع الدول الإسلامية فيما يختص بإعداد الكوادر أن تتخصص في تكامل يعضد بعضه بعضا. وهذا يعني أن يجتمع رؤساء أقسام الإعلام في العالم الإسلامي ليصوغوا مستقبل الأجيال من خلال إعداد الكوادر الحالية والمستقبلية بما يحقق صناعة الأجيال من خلال العمل الإعلامي المقنن والفني، لا الثقافي فقط.

بذلك تتحقق المنظومة «المتكاملة» ويستطيع كل فرد في تخصصه وبحسب قدراته أن يدافع عن انتماء وشخصية هذه الأمة. ويتركز الأمر في هذه الخطورة على الجانب الإعلامي الذي يتوجب عليه أن يكون إسلاميًا لكونه منبثقًا من مجتمع مسلم.

ويختص الحل لمستقبل للإعلام الإسلامي في تطوير أقسام الإعلام في العالم الإسلامي بحيث تصل إلى المستوى التقني والفني بما يواكب الطرح العالمي ويوازي ما يعرض السوق الفضائى، بل لماذا لا يتفوق عليه: هل عجزت الأرحام الأكاديمية أن تلد تخصصات إعلامية دقيقة؟

***

سابعًا: الخاتمة

إن «محور» القصيد في هذه الدراسة هو تطوير أقسام الإعلام بما يتماشى مع الدور المستقبلي للمجتمع والعالم الإسلامي، بل والاحتياج الإنساني، إذ نحن شهداء على الناس.

إن الإعلام الإسلامي لا تنقصه «المؤتمرات» والندوات والقرارات والتوصيات، بل لا تنقصه المنظمات، بل ينقصه همزة الوصل بين القرارات والمنظمات: الكوادر. نعم الكوادر التي تحمل هذا الحبر وتعمل في المنظمات وتصوغهما في مشاريع عملية تصنع الأجيال. هذه الصناعة الغير الإسلامية قد نجحت في صياغة عقول ونفوس أجيالنا، حتى بات الفرد منا ليس له من أمته إلا الاسم.

لماذا لا تتحول أقسام الإعلام في العالم الإسلامي إلى محاضن تخرج «المتخصصين» إلى أبعد حد في التخصص، إذ لا يكفي أن يكون المتخرج من شعبة الإذاعة والتلفاز، بل يجب أن يكون تصويراً وليس مونتاجًا. بل لا يكفي أن يكون مصوراً، بل يجب أن يكون مصوراً للمشاريع الدرامية وليست الوثائقية، وهكذا إلى أبعد التخصصات الدقيقة.

بذلك يتم صناعة الأجيال ويتم ضمان المستقبل للإعلام الإسلامي، أما سوى ذلك فهو الخداع للذات والخيانة للأجيال والتاريخ لا يرحم، لذلك فلنسعى ألا تلعن الأجيال اللاحقة الأجيال السابقة.

وهنا دعوة تتوجه إلى رؤساء أقسام الإعلام في العالم الإسلامي ـ وبالذات شعبة الإذاعة والتلفاز ـ للتجمع وتطوير أقسامهم بما يتناسب مع الطرح الحضاري المعاصر. إذ لا بد من أن نتقن لغة الصورة التي هي بحق تصنع الأجيال وتضمن المستقبل للإعلام الإسلامي.

***

ثامناً التوصيات

١ـ إعطاء الأبعاد الرمزية والنظامية في التخصصات الإعلامية الاهتمام اللائق بها فهي أقوى تأثيراً من القنوات اللفظية.

٢ـ السعي إلى أن يحقق الإعلام في العالم الإسلامي أهدافه الأربع: (١) الإحاطة بالبيئة. (٢) تفاعل فئات المجتمع مع البيئة. (٣) انتقال التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل الذي يليه. (٤) الترفيه. وألا يقتصر الأمر على الترفيه والدعاية السياسية.

٣ـ أن تسعى وسائل الإعلام الإسلامية التقليدية إلى تطوير ذاتها بالتخلص من السلبيات التي تعوق الخطى محليًا وقوميًا وعالميا. وذلك للتوافق مع سعة الأفق الإسلامية.

٤ـ أن يسعى الإسلاميون إلى عرض بضاعتنا في قنوات الإعلام الحديثة بطريقة فنية عصرية غير مباشرة، وذلك لتنافس وسائل العرض العلامية، حيث إن السوق العالمية تفرض مستوى راقيًا من العرض والطلب، إذ لا يكفي أن نكون على حق لننتصر، فالقوة التي نحن مطالبين شرعًا بها هي كذلك في أسلوب وقوة العرض.

٥ـ إن تطور وسائل الإعلام الإسلامية التقليدية والحديثة علاقتها مع الإنتاج الغربي، حتى لا يتربى الجيل المسلم على الفصام وعلى توسيع الفوهة بينه وبين القرية العالمية.

٦ـ أن يسعى الإسلاميون في عرض بضاعتنا على أن تحتوي على خصائص التصور الإسلامي ومقوماته وعلى مواصفات الدعوة الإسلامية.

٧ـ أن يسير الحل لمشكلة الإعلام الإسلامي من خلال المستويات الأربع: الفردي، الأسري، الوطني، القومي.

٨ـ لضمان تحقيق البعد اللفظي والرمزي والنظامي - على المستوى الفردي والأسري - يتوجب على الجهات ذات العلاقة في العالم الإسلامي فتح المجال لوسائل الإعلام - وبالذات التقليدية - لتوجيه الجماهير للتعرف على سلبيات وإيجابيات قنوات البث الفضائية، وذلك لتمكن وتساعد الفرد على حسن الاختيار ورمزية التعامل.

٩ـ الرقي بالمستوى المعلوماتي اللفظي لدى الكوادر المتخصصة في مجال الإذاعة والتلفاز، إذ إننا أمة عربية، وإذ إن من البيان لسحرا، وذلك لتحقيق الاتصال اللفظي في المستوى الوطني.

١٠ـ الرقي بالبعد الرمزي الوطني من خلال بث القدوات والرموز الوطنية في مجال الإذاعة والتلفاز وعدم الاكتفاء بالجانب الثقافي النظري، وكذلك أن تقوم الكوادر المتخصصة في الإذاعة والتلفاز بعملية تحويل هذا القصص إلى رموز على الشاشة.

١١ـ السعي في تعميق التخصص الدقيق في مجال الإذاعة والتلفاز حتى يستطيع الكادر أن يحول الرموز المكتبة إلى رموز مشاهدة.

١٢ـ الرقي بالسياسات والأنظمة الإعلامية في مجال الإنتاج الإذاعي والتلفازي والرقي بالسياسة الإعلامية الوطنية، وذلك لتطوير البعد النظامي للمستوى الوطني.

١٣ـ كذلك أن يتم تطوير المستوى الوطني للبعد النظامي من خلال إعداد الكوادر التي تنفذ السياسات والأهداف الوطنية.

١٤ـ لضمان الكادر القومي يجب أن تحتوي مفردات التخصص على الخماسية الوطنية: (١) الحصيلة الشرعية للحضارة الإسلامية (٢) الحصيلة الثقافية العامة. (٣) الحصيلة التخصصية الدقيقة، (٤) الساعات العملية في المؤسسات الميدانية. (٥) النشاط اللاصفي.

١٥ـ وأخيراً في البعد النظامي للمستوى الوطني أن يتم إنشاء قنوات للبث على المستوى الوطني تحقق السياسات وتوظف الكوادر.

١٦ـ تطوير الخطاب القومي اللفظي من خلال المنظمات القومية على مستوى العالم الإسلامي للرقي بالمستوى المعلوماتي للأمة الإسلامية للتعرف على سلبيات وإيجابيات قنوات البث الفضائي، وذلك لتساعد الفرد المسلم على اتخاذ القرار في كيفية التعامل مع البث الفضائي.

١٧- لتطوير البعد الرمزي في المستوى القومي يتوجب على ذوي التخصص الأدبي أن يقوموا بعملية نقل التراث الإسلامي ومشاكل الأمة الإسلامية إلى الجانب العملي خلال كتابة القصص بلغة العصر، ثم على المتخصص الإعلامي أن يحول هذه الكلمة إلى صورة حية متحركة. بذلك تعيش الأمة الإسلامية قضاياها وتنتمي إلى شخصيتها.

١٨- تطوير البعد النظامي للمستوى القومي من خلال تضافر المؤسسات القومية للوصول إلى حلول مشتركة على مستوى الأمة الإسلامية.

١٩- أن يتم تتويج قرارات المنظمات الإسلامية في إنشاء القنوات الفضائية التي تحمل قضايا وشخصية الأمة الإسلامية، ليتم الاتصال الفعال: تواصل هذه الأمة بين بعضها البعض وبين الأجيال السابقة واللاحقة.

***

المراجع

المراجع العربية:

- أبو هلالة، يوسف (١٩٨٧م) **الإعلام في ديار الإسلام، بداية ورسالة**، الرياض: دار العاصمة.
- جداع، محمد، (١٩٨٩م). **الموقف من سينماء إسلامية**. الطبعة الثانية. القاهرة: الوفاء للطباعة والنشر.
- جمال راسم، (١٩٨٥)، **دراسات في الإعلام الدولي، مشكلة الاختلال الإخباري**.
- الخياط، عالية. (١٩٩٠م) **التلفزيون وتربية الطفل المسلم**. المنصورة: مطابع.
- رشتي جيهان. (١٩٨٩م)، **الإعلام الدولي بالراديو والتلفزيون**. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الزامل، عبد الرحمن (١٩٨٥م) **أزمة الإعلام العربي**. بيروت: الدار المتحدة للنشر.
- شاهين، عبد الصبور (١٩٦٩م). **وجهة العالم الإسلامي** (مالك بن نبي، ترجمة) طرابلس: دار الفكر.
- صاوي. صلاح **الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر**: المؤلف: الوفاء.
- عبد الحليم، محي الدين . (١٩٨٤م) **الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية**. (الطبعة الثانية) القاهرة: دار الرفاعي : الرياض: مكتبة الخانجي.
- العويني، محمد. (١٩٨٧م) **الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق دارسة إعلامية دينية سياسية**. القاهرة: عالم الكتب،.
- غزاري محمد (١٩٨٢م) **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية** قطر: مطابع الدوحة الحديثة.
- فهيم فائق. (١٩٨٢م) **تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية** (ترجمة) الرياض: دار العلوم جدة: دار الشروق.

- قطب سيد (١٩٨٣م) **خصائص التصوير الإسلامي ومقوماته الطبعة السابعة** المنصورة: دار الشروق.

- كحيل، عبد الوهاب، (١٩٨٥م) **الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي** بيروت: عالم الكتب.

- مصالحة، محمد (١٠٩٦) **السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي** لندن: شروق.

- نصر محمد **الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها** الرياض: دار اللواء.

مؤتمرات:

الأمين فضيل. (١٩٩١م) الإعلام الإسلامي أمام التحدي الإعلامي العالمي **مستقبل العمل الإسلامي.** (٤٣ - ٥٠) فيرجينيا : المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث.

- جلون عدنان (١٩٨٦م) الإعلام بوابة الأمن في المجتمع **المسئولية الأمنية للمرافق الإعلامية في الدول العربية** م (ص ٦٥ - ٧٩) الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

- مصالحة، محمد (١٩٨٦) خصائص الإعلام العربي المعاصر **المسئولية الأمنية للمرافق الإعلامية في الدول العربية** م (ص١٤٧ - ١٧٠) الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

- هلباوي، كمال. (١٩٩١م) محدودية الرسالة الإعلامية اللإسلامية **مستقبل العمل الإسلامي** (٣٩- ٤٢) فيرجينيا : المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث.

المراجع الأجنبية:

- Dan Nimmo, l. David. (eds). (1990). New Directions in Ploitical Communcation. Newbury Pak: Sage publication..

- Galtung, John & Vincent, Richard. (1992) . Global Glasnost. Toward a New World Information and Communcation Order? Resskill, New Jersey: Hampton Press, Inc

- Havik, H. Gohn. (1983). Communcation Policy and the Political Process. Westport: Greenwood Press.

- Martin, l. John & Hiebert, E. Ray. (1990). Curren Issuent in International Communcation. New york: Longman.

- Samovar, A. Larry & Porter, E. Richard. (1991) Communcation Between Cultures Belmont, CA: Wadsworth Publication Copmany.

●●●